كنيسة مارجرجس - سبورتنج

رائحة المسيح

في حياة أبرار معاصرين

(الجزء الخامس)

القمص لوقا سيداروس

اسـم الكتـاب : رائحـة المسيح في حياة أبـرار معاصـرين
(الجزء الخامس)
اسـم المؤلـف : القمص لوقا سيداروس.
الناشـــــر : مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس ـ سبورتنج.
الطبعـــــة : الأولى 2006م
المطبعـــــة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.
رقـم الإيـداع : 2006/19612
الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 977 - 392 - 033 - X

صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الـ **117**

بِـاسم اللّــه القــوي

مـقدمـة الطبعـة الأولى

لم يكن الغرض مــن الكتابــة عــن ســير أبــرار عاصرناهم مجرد سرد سير قصص غريبة للتندر بها أو التسلية أو حكايات تُحكى للأطفال. بل كان في ذهننا من البداية أن نشــجع الســائرين فــي الطريــق ونُعــزّي المتضايقين ونضع برهاناً عملياً لجلال الإيمان بالمســيح والنهاية السعيدة لحافظي عهده ووصاياه.

وقد أفاد الكثيرون ممــن وصــلت إلــيهم الأجــزاء الأربعة السابقة وأخذها كثيرون مأخذ الجد لتغيير الحياة وحمل الصليب إلى النفس الأخير. وقــد ســمعنا مــن كثيرين كم تأثروا أثراً حقيقياً لتصحيح المسار لا ســيما في هذه الأيام التي نعيشها والتي يتعرض العالم فيها كله

لهزات شديدة ليس على مستوى الكوارث الطبيعية فقط بل وأيضاً في الإيمان والمُثل والمبادئ والتقاليد مما جعل الكثير من الناس في حيرة من أمرهم.

ولكن تبقى الشهادة الحيَّة للإيمان العامل أقوى من كل شهادة، فالإيمان عندنا ليس محفوظات تُحفظ أو كلمات تُردد. ولكن يتركز الإيمان في شخص يسوع المُخلِّص وليس في فكرة أو نظرية الخلاص.

فالذين عاشوا الإيمان المسيحي بصدق هم الذين يربطهم بشخص يسوع المسيح مُخلِّصهم رباط معرفة شخصية وحب شخصي وطاعة مذعنة لكل كلمة قالها. فالأمر إذن ليس فلسفة الكلام أو الجدل أو المناقشات التي تولِّد خصومات، بل برهان الحياة. وقول القديس يعقوب الرسول: " **لكن يقول قائل: أنت لك إيمانٌ، وأنا لي أعمال أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني** ". يصلح أن يكون منهجاً إنجيلياً واضحاً لنسج السلوك والأعمال على منوال الإيمان.

فالمسيح المُبارك له في كل حين شهود أُمناء يشهدون له بأعمالهم الصالحة. وهو لا يحتاج إلى

مُحامين يُدافعون عنه لأنه رفض عمل القديس بطـــرس الرسول لما استل سيفه وقطع أُذن عبد رئـــيس الكهنـــة. وأوصى الرسل أن يكونوا له شهوداً في كل الأرض.

نرجو بالرب أن تصير حياتنا وأعمالنـــا ومعاملاتنـــا مع القريب والغريب تخدم الشهادة للمسيح الـــذي أحبنـــا وبذل ذاته عنا وجعلنا له شعباً خاصـــاً وأُمـــة مقدســـة. وليكن هذا الكتاب سبب بركـــة وخـــلاص لكـــل مـــن يقرأه. آمين.

القمص لوقا سيداروس

أحد العنصرة ـ عيد حلول الروح القدس

4 بؤونه 1722 ش ـ 11 يونيه 2006 م

في أوائل عام 2001م زار قداسة البابا شنوده الثالث لوس أنجلوس لمدة أيام ... وقد ذهب أثناء زيارته إلى طبيب الأسنان عدة مرات، كنت أصحبه فيها كعادتي وقد تمتعت بوقت طيب قضيته في رفقة البابا ... وكان الطريق من المنزل إلى العيادة يستغرق ساعة أو أكثر، فكنا نتحدث في موضوعات روحية أفَدْت منها كثيراً وحسبت نفسي مغبوطاً أنني قضيت هذه الأوقات الممتعة. لم نتطرق إلى أي كلام سياسي أو حتى في سياسة الكنيسة، ولكن في معظم الأوقات كان الكلام عن الإيمان وكلام في الإنجيل وفي أعمال اللَّه وعجائبه في قديسيه.

وقد جذبنا الحديث مرة عن القصص الإيمانية

وتدوينها من الذين رأوها وكم هيَ بالحقيقة تُثبِّت الإيمان وتُعزي نفوس الذين يُجاهدون للسير في الطريق الضيق وتُعضد الضعفاء.

قال لي البابا ... سأقص عليك قصة حدثت معي شخصياً وأنا بعد شاب في أواخر العشرينيات من عمري قبل أن أترهب ... قلت لسيدنا وأنا كلي آذان صاغية ... ماذا يا سيدنا؟

قال ... كان لنا صديق شاب استهوته القراءات في الوجودية والفلسفات الإلحادية ... فقرأ وقرأ وتبحر في القراءة جداً، وأثرت فيه هذه القراءات حتى أنه أسلم عقله بدون وعي لكل ما قرأه، وهكذا انتهى به الأمر إلى الإلحاد وإنكار وجود اللَّه كلية!!

وبدأ صاحبنا يُجاهر بأفكاره هذه وسط زملائه شيئاً فشيئاً، وقد بدأ هذا الأمر يؤثر في زملائه من مشفق عليه إلى معارض محتد ... ولكن الخطير في الأمر هو أن جميع أصدقائه لم يقدروا أن يرجعوه إلى جادة الصواب أو الإيمان إذ كان قد انزلق إلى هوة عميقة من الشكوك الخانقة للنفس ... وأخيراً صار الكلام من الأهل والأصدقاء أنه لم يعد هناك سوى الأخ نظير جيد،

وقد كنت وقتئذ علمانياً ولكني كنت نشطاً في المجال الديني من مدارس الأحد إلى الكتابة في المجلات إلى إلقاء المحاضرات وكذا الكلية الإكليريكية. فوجدت أنه من واجبي الشهادة للمسيح أولاً، ثم من واجب الصداقة ومحبتي لخلاص نفس كل أحد. وجدت أنني لابد أن أعمل شيئاً لهذا الصديق لكثرة ما سمعت من أصدقائه وأقاربه.

قال البابا مُكملاً حديثه ... تقابلنا وأمضينا أياماً بأكملها، فندنا جميع أفكار الإلحاد شيء مهول وبحور هائجة وأمواج متلاطمة. ولكن بنعمة المسيح انتهى الأمر بأن خرج الأخ باقتناع كامل بإيمان قلبي وعقلي، ليس بوجود اللَّه فقط، بل بإيمان مسيحي في سر الثالوث القدوس وفي سر التجسد والفداء والخلاص بدم المسيح ونوال الحياة الأبدية بالإيمان باسمه.

كم شكرنا اللَّه وتعزت نفوسنا، وصار هذا الأمر معلوماً عند جميع الأقارب والأحباء.

قال البابا ... لم يمر سوى أسابيع قليلة وإذا بذات الأفكار التي ضحدتها وفندتها وأثبت فسادها، ذات

الأفكار تهاجمني بقسوة، وكعواصف عاتية صارت تهب على عقلي بكميات تفوق مئات المرات ما كان عند صديقي من أفكار!!

لقد عشت أسوأ أيام حياتي، كنت مُعذباً، مُسهداً، لم يطب لي مأكل، ولم يغمض لي جفن ... إن قلبي رافض لكل هذا رفضاً مُطلقاً، ولكن كيف يهدأ عقلي؟ آيات الكتاب المقدس كلها متواردة في ذهني، ولكن العواصف أقوى من العقل.

قلت وأنا مندهش ثم ماذا حدث يا سيدنا؟ قال البابا ... ظللت على هذه الحالة أياماً كاملة. ثم أدركتني النعمة وأنارت ذهني ... فتذكرت معجزة حدثت لي من سنوات مضت. قلت وما هى؟

وهنا التفت إليَّ البابا وقال ... لن أقول لك ما هيَ وسأحتفظ بها سراً لنفسي. قلت في أدب ... لا مانع. فأكمل البابا حديثه معي قائلاً ... هذه الحادثة (المعجزة) لم يكن لها تفسير عقلي أو منطقي ولا توجد قوة في الوجود كله تستطيع أن تفعل هكذا سوى يد القدير. فلما تذكرت هذه المعجزة العجيبة تبددت الأفكار المزعجة عني في الحال كأنها ظلمة كانت مطبقة على عقلي فلما

أشرق النور انقشعت الظلمة بلا أدنى مقاومة، وفي لمح البصر وجدت نفسي كما أنا أحيا في إيماني بأشد قوة وثقة بمن آمنت ومحبتي لمُخلِّصي وافتخاري بصليبه المحيي وتكريس حياتي له وحبه. وصارت هذه الأمور أكثر إشراقاً من نور الشمس داخل نفسي.

قلت ... حقاً يا سيدنا! إن الإيمان الحقيقي هو خبرة شخصية ومعرفة حقيقية بشخص يسوع المسيح واختبار حبه وعنايته وقدرة صليبه. هذه كلها ليست معلومات تُقرأ في كتب أو عظات تُسمع، ولكنها حياة تُعاش وخبرة تُبنى عليها الحياة.

شـاهـد آمـين

في فبراير 1970م كنت في زيارة لدير القديس أنبـــا مقار في برية شيهيت. كانت حركة التعمير في الدير تسير بتدبير يفوق الوصف، وكان أحباء كثيرون قد حرَّك الـــرب قلوبهم وشدد سواعدهم للعمل، فاتسع نطاق العمل حتـــى أنه من شهر إلى شهر كانت تتغير الملامح بل من أسبوع إلى ما يليه تكون يد العمران قد أضافت جديداً إلى صرح العمل الضخم الذي كانت يد الرب تعمله.

وقد جلست يومها مع قدس الأب الروحي القمص متى المسكين وكان يتحدث عن أعمال اللَّه التي لا يُعبّر عنها وعن يد اللَّه التي صارت ملموسة في البركة التي لا توصف. قصص كل يوم تُمجد اللَّه، وأعمال مجيدة منسوبة ليد القدير المُمجَّد في قديسيه. ولكن ما حدث بالأمس كان شيئاً فاق كل حدود التصور.

قال أبونا متى - بحضور بعض الآباء الرهبان الذين كانوا شهود عيان - معظم العمال في الدير من قرية اسمها " الزورة " بصعيد مصر معظم سكانها من المسيحيين، وهم أُناس طيبون مُحبون للَّه وفقراء جداً ... يعملون في الدير لمدة أسبوعين ويأخذون أجورهم مساء الجمعة ويُسافرون لقضاء بضعة أيام بين ذويهم، ويعودون إلى الدير يوم الاثنين أو الثلاثاء. وهم والحال هكذا، فإنهم ينتظرون يوم الجمعة من كل ثاني أسبوع بفارغ الصبر ليأخذوا هذه البركة. كان يوم الجمعة الماضي – ونحن اليوم يوم الاثنين – ميعاد استلام الأجور، وقد حسب الأب الموكل بالعمل أجور العمال من نجارين وفعلة وعمال تسليح ... الخ، فوجدها 283 جنيهاً.

جاء الأب بالورقة وفيها هذا الرقم إلى أبونا متى يوم

الخميس وقال: يا أبي هذا المبلغ مطلوب غداً. فقال أبونا: صلي يا أبي ... أكمل أبونا متى حديثه وقال: طوال هذا الأسبوع لم يأت إلى الدير زوار ولا أحد قدَّم نذوراً أو عطايا ولم يكن في الدير نقود على الإطلاق، وليس من يقرضنا ... جمعت الآباء وقلت لهم صلوا ... الناس غلابة ولازم يأخذوا أجورهم. صلوا طوال الخميس والجمعة حتى المساء ولم يتغير في الأمر شيء حتى جاء مساء الجمعة والعمال في حالة ترقُّب وانتظار. قلت اعملوا لهم طعام شهي، وأرز بلبن بسكر، وحاولوا أن تجدوا حجة بها تستبقوهم بعض الأيام إلى أن يأتي الفرج من قِبَل الرب وفعلاً نجح الأب في إقناعهم، وباتوا إلى يوم السبت، وانقضى السبت ولم يتغير شيء.

وفي فجر الأحد قرع باب الدير بعض الأحباء من مدينة طنطا، أحباء معروفين ومعهم دكتور يُدعى فاروق مرقص حضر معهم لأول مرة. حضروا القداس وتقربوا من الأسرار المقدسة، ثم بعد القداس سأل الدكتور فاروق مرقص عن أبونا متى، فلما أبلغوني، قلت ماذا يُريد؟ أنا تعبان لا أستطيع أن أقابل أحد ...

ولكنه أصر أن يراني بإلحاح، وقال: أنا مش ماشي من هنا إلى أن أراه.

وتحت الإلحاح خرجت لمقابلته. سلَّم عليَّ باتضاع وقال: أنا جئت على غير ميعاد مع أصدقائي وقد فكرت أن أحضر بركة للدير، فتوجهت إلى العيادة وأحضرت القرشين اللي في العيادة. تقدمة بسيطة أنا مكسوف أني أقدمها، أخذها أبونا متى من يده وشكر اللَّه ودعا له بالأجر الصالح، ودفع المبلغ لأحد الآباء الذي قام بعدُّه وإذا به 283 جنيهاً بالتمام والكمال !! لا زيادة ولا نقصان، جاء الأب يصرخ شيء لا يصدقه العقل؟؟ جمع أبونا متى الآباء وصلوا ومجدوا اللَّه، وأحسوا أن يد الرب تعمل معهم بكل تأكيد مما لا يدع مجالاً للشك.

ولما تلامس الدكتور فاروق مرقص مع عمل اللَّه هذا، صار الدير بالنسبة له هو المكان المقدس الذي تشتهيه نفسه، وصار الآباء في الدير هم خاصته وأحباء قلبه، وصار أبونا متى هو مُرشده ومُعلِّمه. ومنذ ذلك الحين بدأ الدكتور فاروق مرحلة جديدة في اختبار الحياة مع المسيح، والشهادة للمسيح، وحب المسيح، وخدمة المسيح.

❖ كان لي أحد أحبائي، المتنيح الدكتور زكي فهيم، وكان قد بدأ منذ سنوات قليلة يخدم المسيح كشماس وخادم للفقراء، وكانت تسليته الوحيدة هيَ الخدمة. كان بيته يعيش للمسيح، المسيح هو الحياة، والحياة في المسيح شملت حتى الأمور المادية من أكل وشرب وحديث. لا يوجد سوى المسيح الكل في الكل.

كان بيت الدكتور زكي مكان راحة قلبي وأنا في طريقي من الإسكندرية إلى القاهرة وبالعكس. كنت أشعر بوجود اللَّه في بيته وفي زوجته وأولاده، في الفرح الذي يعيشون فيه، وفي حبهم لكلمة اللَّه وفي الصلاة.

وكان الدكتور زكي قد تعوَّد أن يستيقظ الساعة الرابعة فجر كل يوم يشبع تسبيحاً وصلاة. وكلما سنحت له الفرصة يحضر إلى الإسكندرية ليعترف ويُصلي العشية والقداس. وكنت أفرح به فرحاً عظيماً كلما رأيت روحه الملتهبة بحب المسيح واتضاعه كمثل ولد صغير، وسخاء النعمة في حبه وعطائه لمرضاه ولإخوة الرب الفقراء في كفر الزيات والقرى المحيطة. وارتبط الدكتور زكي فهيم برباط محبة المسيح مع الدكتور فاروق مرقص، فكانا

يعيشان بروح واحد وحب لا يوصف.

في ذلك الوقت من سنة 1970م تعرَّفت على الدكتور فاروق مرقص وقد قص لي قصة ذهابه إلى دير أنبا مقار لأول مرة حين أخبره بعض أحبائه وأحدهم خادم نشيط للمسيح ومُحب لخلاص النفوس، أخبروه أنهم يعتزمون أن يقوموا فجراً ليذهبوا إلى الدير لحضور تسبحة نصف الليل والقداس الإلهي، فقال: لماذا الدير والكنائس تملأ الدنيا. قالوا له: تعال وانظر، ستشعر أنك تحيا في السماء، فقال: إن كنتم تقدرون أن توقظوني من النوم أذهب معكم. وقد كانت عادة الدكتور فاروق أن يبذل جهداً كبيراً طول النهار ومتى أسلم نفسه للنوم، فإنه يدخل في نوم عميق جداً لا يشعر بأي ضجة أو حتى آلة تنبيه.

ولم يكن أحد بالمنزل في ذلك اليوم، فوضع ساعة التليفون بجواره لعله يسمعها إذا دق جرس التليفون من أحد أحبائه، وزيادة في الحرص أحضر منبهاً ووضعه داخل طشت حتى متى دق الجرس يكون صوته أكثر إزعاجاً، وضبط التوقيت على الساعة الرابعة صباحاً، وصلى قائلاً: إذا أنبا مقار يريدني أن أذهب فهو سوف

يوقظني في الموعد. قال الدكتور فاروق: لقد استيقظت الساعة الرابعة إلاَّ خمس دقائق بدون كل هذه الاستحكامات. قلت: كيف؟ قال: بطريقة معجزية، قلت مستفسراً: وكيف كان ذلك؟ قال: وجدت نفسي فجأة راقداً على الأرض، لقد وقع السرير بي. وقعت المُلة بالمرتبة على الأرض وأنا راقد عليها!! فتحت عيني ونظرت إلى الساعة وإذا بها الرابعة إلاَّ خمس دقائق! قلت: عجيبة حقاً.

قال: رفعت عيني إلى فوق وقلت للقديس أنبا مقار معاتباً " ما كنش فيه طريقة غير كده!! "، ولكني فرحت فرحاً لا يُنطق به وقمت بسرعة، وذهبنا جميعاً إلى الدير. وقد كنت في المساء قبل أن أقفل العيادة أخذت كل ما فيها من مال. وتعجبت جداً أن هذا كان هو المبلغ المطلوب والذي كان الآباء يُصلون أن يرسل لهم الرب هذه المعونة!! ومن يومها شعرت أن الحياة الروحية ليست خيالات بل واقع حي ملموس، وصار أبونا متى هو أب اعترافي ومرشدي ومُعلِّمي.

كان الدكتور فاروق يذهب إلى الدير كلما سمح له الرب وكلما وجد فسحة من كثرة المشاغل. وكان يأخذ مشورة أبيه الروحي في كل ما يقابله في الحياة ويسمع

كلمة الإرشاد الروحي ويتبعها من كل قلبه بلا فحص عالماً ومتأكداً أن وصايا المسيح هيَ القوة بعينها وأنها باب الملكوت.

لقد قابل مضايقات كثيرة واضطهادات، ولكن الرب كان سنده وقوته، بل كان بالحب الذي فيه يغلب البغضة. كان له زميل بالعمل طبيب غير مسيحي يُكثر من الشكاوي ضد الدكتور فاروق، كلها افتراءات وادعاءات كاذبة، وقد حققوا كثيراً من هذه التهم الباطلة، وكان الرب في كل مرة يخرجه غالباً منتصراً على الشر. بل كان الرؤساء يُقدرونه بالأكثر من أجل نعمة اللَّه التي فيه ومن أجل أمانته لإلهه حتى صار مديراً للمستشفى! ولكنه كان مديراً من طراز غريب لا يعرفه العالم ولا يستطيع أن يعرفه.

كان الدكتور فاروق يُقبِّل كل من يعرفه بقبلة المحبة المسيحية بقلب طاهر بسيط كالطفل، لذلك فرح به العمال والفراشون والمُمرضون وكل من هم دونه إذ رأوا فيه اتضاع عجيب وحب وحنان نحو الضعيف والفقير والمظلوم. قليلاً ما جلس في حجرة المدير، وإن كان فهو يختلي فيها لوقت قليل لطلب معونة اللَّه إذ كان

يعتبر نفسه خادماً للمسيح حتى في وظيفته، وكان يرى السيد الرب هو المدير الحقيقي والعامل به وفيه. وإن كان ثمة متاعب في العمل أو مسئوليات فإنه كان يضعها بالتمام ويلقي حملها على المذبح كلما صلى وتناول من الأسرار المقدسة، كان يشعر أن حمل المسئولية هو على المسيح وحده.

لم تخل الحياة من المعاكسات. فجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون. عاد إلى عمله بعد أجازة كان يقضيها خارج البلد فوجد أن الوزارة عينت مديراً آخر غيره، وقد استلم عمله بالفعل بعد أن اقتحم المدير الجديد مكتب الدكتور فاروق الذي كان مُغلقاً ولم ينتظر أن يتسلَّم منه. وكان المدير الجديد على قدر أقل من الكفاءة والمعرفة. ولكن الدكتور فاروق – طاعة لأبيه الروحي الذي كان يُدبِّر له طريق الحياة الأبدية – ذهب إلى المستشفى وهنأ المدير الجديد بمركزه متمنياً له كل التوفيق ومظهراً خضوعه باتضاع عجيب. وقد قاد كل العاملين بالمستشفى إلى هذا المنهج السلامي المتواضع. وقد تأثر الجميع من هذا الروح العجيب الذي كان يحيا به بدون رياء. وقد مجد الرب

الصنيع معه فبعد عامين كاملين عاد إلى مركزه مُعــززاً مُكرماً من الجميع ومشهوداً له من اللّــه والنــاس أنــه مُزكى في طريقه.

أحبوا ... باركوا ... أحسنوا ... صــلوا ... هــذه الأفعال الإيجابية التي أوصانا بها المســيح الإلــه فــي مواجهة العداوة واللعن والبغضة هيَ ضمان النجاح فــي حياة الروح. اسمع الوصــية ثانيــة " **أحبوا أعداءكم. بــاركوا لاعنــيكم. أحســنوا إلى مبغضــيكم، وصــلوا لأجل الذين يُسيئون إليكم** ". هكذا يظهر الإنسان أنــه ابن للآب السماوي المحسن إلى غير الشاكرين والــذي يعطي الخير المادي بدون تفريق، فيشرق على الأبــرار والظالمين. كانت هذه الأفعال هيَ منهج الدكتور فاروق، فلم يعرف العداوة ولم يســتطع أحــد أن يعاديــه لأنــه " الذي فيكم أعظم من الذي في العالم ".

بدون سابق إنذار ملأت العداوة قلب صــاحب أحــد المحلات أسفل عيادة الدكتور فــاروق. فطمــس معــالم العيادة وأزال اليافطة التي تخص د. فاروق بحجة أنــه يعمل إصلاحات في محله، وصار يذيع إشاعات شــاتماً د. فاروق، وقد عاكس المرضى الذين يحضــرون إلــى

العيادة، وأساء إلى سمعة الدكتور ومواعيده وكفاءته! قابل د. فاروق كل ذلك بابتسامته المعتادة. لم يعاتب الرجل ولم يتكلم معه، تركه يفعل كل ما بدا له. بل على العكس كان يُصلي كثيراً من أجله لكي يُعطيه الرب نعمة ويُبعد عنه روح الشر. وكان في دخوله وخروجه يُسلِّم على الرجل ويحتضنه ويقول له: " أنا أخسر كل شيء ولكن لا أخسر المحبة ... أنت جاري وحبيبي! ". وقد حوّل الرب قلب هذا الرجل وصار يخدم د. فاروق بكل قوة وإخلاص.

❖ صلاة الإيمان:

اشتهر د. فاروق بصلاة الإيمان، كان يحب الصلاة ويثق في قدرتها حتى لو بدأ الأمر مستحيلاً، فكل شيء مستطاع لدى اللَّه. لم يفقد الرجاء في أحد أو في شيء حتى أكثر الناس عُنفاً أو شراً أو حتى الحالات الميئوس منها في الطب كان يعطيها رجاء. وكثيراً ما كان يُصلي مع المريض ويقوده إلى حياة الصلاة والعشرة مع اللَّه، وكثيراً ما كان يقول للمريض كلمات الرب يسوع " إيمانك قد شفاك ". وهكذا كان إيمانه، وهكذا كرز بحياة الإيمان وصلاة الإيمان.

كُنت مرة مع المتنيح نيافة الأنبا يوأنس أسقف الغربيـــة، وكنا نتحدث عن أعمال اللَّه وقدرة الإيمان على صـــنع المستحيل، فقال في حديثه: لي أحد أحبائي وهو رجـــل مُتدين يخاف اللَّه ويؤمن بأن الصلاة قادرة وفعالة، شغلته أفكاره أن يسأل عن والدته المُسنَّة المقيمة بالإســكندرية لأنها مريضة وأراد أن يطمئن عليها، وكان الوقـــت قـــد جاوز نصف الليل. لم يكن عنده في تليفونـــه اشـــتراك الترنك، كان عنده فقط خط داخلي، ومن الصعب جداً أن يذهب إلى أحد أحبائه أو يرسل أحد أبنائـــه لأن الوقـــت متأخر، فكان أن صلى بإيمان ورفع ســـماعة التليفـــون وطلب الإسكندرية، وللعجب أنه اتصـــل وردت عليـــه والدته واطمأن عليها، وقد تعجبت أسرته أي عجب!!

قال الأنبا يوأنس: لقد علمت هذا عندما جاء يعتـــرف ويقول ... حاللني يا أبي فقد سرقت شـــركة التليفونـــات وتكلمت بدون وجه حق وأنا غير مشترك وليس عنـــدي خط مباشر. وقد علمت فيما بعد أن هذا الابن المبـــارك هو د. فاروق مرقص.

لقد رضع د. فاروق مرقص لبن الإيمان من أمه القديسة التقية التي ربته على حياة الإيمان والصلاة. ومن أعجب ما سمعت قصته مع والدته حين جاءها وهو في بكالوريوس الطب يطلب منها أن تُصلي من أجله وهو مُقبل على امتحان وخائف جداً أن يمتحن شفهياً أمام أستاذ مُتعصب جداً ضد المسيحية، ويخشى إذا امتحن أمامه فسوف تكون النتيجة الرسوب في المادة، وطلب بشدة أن تُصلي أمه لأجل هذا الأمر، وكله ثقة أن صلاتها مُستجابة لدى اللَّه.

فقالت الأم: حسناً يا ابني تعال نُصلي معاً. وصلت وطلبت وجه اللَّه متضرعة قائلة ... ياربي يسوع اجعل ابنك فاروق يمتحن أمام هذا الأستاذ المتعصب. فلما فرغت من الصلاة، استاء فاروق وقال: يا أمي أنا قلت لكِ صلي لكي لا أقع تحت يد هذا الأستاذ وأنتِ تصلي بالعكس!! قالت الأم الحكيمة التقية: يا ابني لو امتحنت أمام آخر ونجحت فسوف تفتخر وتنسب النجاح لنفسك، وهذا ليس نافعاً لخلاصك، ولكن إن امتحنت أمام هذا الأستاذ ونجحت فسوف تنسب الفضل للَّه صاحب الفضل.

وفعلاً امتحن أمام نفس الأستاذ وتمجد اللَّه في حياته

عندما نجح وأعطى المجد للَّه الذي يُنجي من التجارب ويُنقذ عبيده المتكلين عليه.

وقد تأثرت جداً حينما قرأت بعض رسائل كتبها د. فاروق لأبنائه وهم في أرض غربتهم سواء في ألمانيا أو أمريكا. وهى تكشف عن أعماق نفسه وصلته الحقيقية بالمسيح وتصلح أن تكون منهجاً للعلاقة في المسيح بين الأب وأبنائه أينما يكون السيد الرب هو الكل في الكل داخل العائلة.

وها أنا أُسجل بعضاً منها لعلها تُنير الطريق لكثير من الآباء كيف يربون أولادهم في المسيح بالروح.

مقتطفات من رسائله إلى ابنه الأكبر بأمريكا

❖ ... أنا فرحان بك جداً لأن الأخبار التي وصلتني عنك أخبار طيبة وأنا في الحقيقة فخور بك لأن لك شهادة من الناس والأحباء أنك استطعت أن تشهد للرب، ولو أني في البداية كنت خائفاً عليك من العالم الجديد، وقلت إن ابني ... سوف يذوب في هذا العالم خصوصاً في مادياته وفلوسه ودولاراته، لكنك أثبت أنك رجل كبير تعيش في هذا العالم لكن العالم لا يعيش فيك

أو داخلك، تستغل هذا العالم لتعيش للَّـه ولكـن العـالم لا يستغلك لتعيش له ولعبوديته. فأشكر اللَّه على ذلـك، وربنا معكم ...

أرجو أن تهتم أنـت وإخوتـك بحيـاتكم الروحيـة والنفسية والجسدية، واللَّه معكم ويكمِّل مسيرتكم ويفـتح لكم الأبواب المغلقة لتحيوا حياة سعيدة بفرح، لأن الفرح هو أساس الحياة كلها. مهما كان معك من ممتلكـات أو أي وسائل أخرى للحياة الجسدية ولكن يـنقص حياتـك الفرح فلا تساوي هذه الحياة شيئاً.

والحصول على الفرح يكون من صاحب الفرح وهو المسيح نفسه، فتعلقوا به والتصقوا به لكي تصلوا إلـى الفرح الحقيقي الذي يعطيه المسيح لكل واحد يلتصق به ويثبت فيه ... وأنا واثق أنكم من أولاده فعلاً بالرغم من أني كنت خائفاً عليكم من الغربة، لكن اللَّـه قـد تمجَّـد فيكم، وأخباركم دائماً حلوة، تحمل رائحة المسيح الذكية، ورائحة المسيح التي فيكم بتفرحنا جداً ...

أنا واثق أني سلمتكم لأبيكم الحقيقي يسوع، ولا يمكن أن يعمل لكم أي شيء إلاَّ من أجل خلاص نفوسكم حتى لو كنتم في آخر العالم، واللَّه يعمل كل شـيء صـالح،

وكل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون اللَّـــه. وأنـــا أنصحكم أن تُسلِّموا كل شيء في حياتكم للَّه حتى لا تدخلوا في صراعات أو متاهات العالم حتى يرد عليكم اللَّه فـــي كل تساؤلات تعترضكم وينظم لكم حياتكم ويقـــودكم ... وأنا أريد أن تعلموا أن كل شيء في هذا العالم هو تراب لا يستحق كل هذه الصراعات والمتاهات التـــي يـــدخل فيها الناس ... ولكن القيمة الحقيقية الثمينة هيَ داخلكـــم أنتم، وهى إيمانكم بـــالرب وبمواعيـــد الحيـــاة الأبديـــة الدائمة. فمهما رأيتم في هذا العالم من عظمة أو فخامة، فكل ما فيه تراب زائل، " والعالم يمضي وكل شهواته "، ولكن نفوسكم أنتم هيَ الجـــواهر الغاليـــة النقيـــة التـــي ستقدمونها أمام اللَّه كتقدمة وقربان للَّـــه ... فـــأرجو أن تعزوا بعضكم بعضاً بالروحيات، وأن تشجعوا بعضـــكم بعضاً وتسندوا بعضكم بعضاً جداً، وربنـــا يكمـــل لكـــم الطريق، ويُسمعنا عنكم كل خير ... صلوا مـــن أجلنـــا لأن اللَّه سيسمع منكم لأنكم أطهار ... صلوا من أجـــل العالم كله ... صلوا من أجـــل المســـيحية لكـــي تنمـــو وتزدهر ... صلوا من أجل الإنجيل المقدس لكي ينشره اللَّه – كبشارة الملكوت المُفرحة – بين الناس ويغزو بـــه

القلوب المغلقة ويفتح به اللَّه قلب العالم كله.

❖ ابني الحبيب ... الحقيقة أنا حاسس أن اللَّه واقف معك باستمرار لأنك أنت في الحقيقة متأصل في المحبة والمحبة متأصلة ولها أعماق فيك " من يَثبُت في المحبة يَثبُت في اللَّه "، لأن البذل العجيب من أجل الناس وعطاءك لأجل الآخرين يعني لي الشيء الكبير ... لأنك لم (تحكي) لي ولكني سمعت من الآخرين عن بذل محبتك ... حتى دمك أعطيته للناس. وهذا البذل هو سر وقوف اللَّه معك وسر نجاحك في غربتك، وسر سلوكك كله هو العطاء والبذل الذي أخذته فعلاً من الإنجيل وشاور لك عليه المسيح وأخذته من الدير وتعلَّمته من الرهبان الذين عايشتهم وأنت استطعت أن تستنبطنه داخلياً في الفكر وتقدمه كسلوك في حياتك العملية ... حقاً " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ". والخسارة الكبرى للنفس هيَ لو أغلقت على نفسك وصرت أنانياً لا ترى إلاَّ مصلحتك وربحك للعالم كله لو أمكن، ولكن هذا الربح الأناني للعالم – لحساب النفس – هو بعينه خسران الإنسان

لنفسه ... وهذه الخسارة لن تكون بالنسبة للملكوت فقط بل وللأرض أيضاً (بمعنى أن الإنسان يخسر نفسه هنا وهناك أيضاً).

فاحذر من ذلك يا ابني لأن الوقت الحاضر ضد الإيمان، والعالم ضد الإنجيل، والانبهار الموجود من أشياء هذا العالم هو ضد مواعيد اللَّه وأشياء الدهر الآتي، والخوف على المستقبل الأرضي هو ضد حياتك الروحية ومستقبلك الأبدي، فمملكة الظلمة لا تهدأ ولا تكف عن صراعها مع مملكة النور وأبناء النور. لو شعر الإنسان أنه واقف في مملكة النور ومُصِر على الوقوف والثبات فيها تظل مملكة الظلمة تطارده للخروج من دائرة النور مرة بالتخويف ومرة بالترغيب، مرة تشاور له على أهمية المراكز والمال وسائر الشهوات العالمية وترغبه فيها. ومرة تملأ قلبه بالخوف من العوز والفقر والمرض والمستقبل الفاشل إذا لم يسع وراء هذه الطموحات الأرضية. مرة تكيل له ضربة شمالية ومرة ضربة يمينية ... المهم إزاي تجعله يترك منطقة النور ويدخل منطقة الظلام؟

الحاجة الوحيدة التي تجعلك في منطقة النور هيَ أن

تحب وتبذل حتى نفسك من أجل اللّه والناس، ومن يحب ويبذل نفسه حباً لا يخاف شيئاً ولا يشتهي شيئاً، ويكون قد ساد وغلب مملكة الظلام التي تأسر الناس بالتخويف والترغيب، بالرهبة والشهوة!

طبعاً أنت عارف أن علامة الحياة الروحية هيَ النمو الدائم في النور. فلو توقف نموك اعرف أنك في خطر، واحذر لئلا تدخل في مملكة ظلمة هذا العالم ويغشاك الظلام. واعلم أنه حيثما كثرت الماديات والأرضيات والمراكز والعروض المغرية من الأكل والشرب والأجهزة والكماليات وسائر اللذات، حيثما كثرت النعمة أيضاً لأولاد اللّه وظهرت بأكثر وضوح في حياتهم.

فأرجو من اللّه أن تنمو في الروح وتتقدم في المعرفة والنعمة، وأنا أفرح جداً عند سماعي بنموك وتقدمك الروحي وبَذلَك وعطائك أكثر من فرحي وتأثري بنجاحك المادي، لأن حركة واحدة إنجيلية منك تجعلني أشتعل فرحاً بالروح، ولا سيما عند سماعي لهذه الأخبار الروحية عنك.

فثق تماماً أنك على الطريق، وثق أيضاً أن سر فرحك وسعادتك وسر انفتاح العالم أمامك يبدأ بمحبة

الآخرين. لقد سألني مرة أحد الأطباء الزملاء بالمستشفى ... لماذا تحبنا يا دكتور فاروق كل هذا الحب بالرغم من مضايقتنا الكثيرة لك، فأنت تمتص هذه المضايقات وتحبنا؟ فأجبته بقولي: أنا في الحقيقة أناني ... أحبك من أجل نفسي. فقال لي ... كيف هذا وأنت تحبنا أكثر من نفسك. فأجبته قائلاً ... إنني عندما أحبك فأنا أحبك من أجل نفسي وليس من أجلك! لأن الواقع أن محبتي لك تدخلني في منطقة نور تُفرح قلبي وتسعدني وتملأني بالسلام، والبديل أنني لو لم أحبك أو حتى حصل مني جفاء ولا مبالاة من نحوك، فسوف تدخلني ظلمة، وهذه سوف تطرد الفرح مني. فالذي يحب فهو يدخل منطقة النور والفرح. أنت تسأل لماذا لا نراك حزيناً أبداً فأنت باستمرار مبتسم على مدى 10 سنوات، فنحن نضايقك ونجدك مع ذلك فرحان باستمرار ومبتسماً. لا يوجد أي موقف يقدر أن يهزك؟ ... قلت له ... عايز تعرف السر؟ السر هو المحبة ... فمهما حضرت كنائس ليل نهار فهذا لا يعطيك صلابة أكثر لتحتمل الصليب والبذل ولكن عندما تقرأ الإنجيل – لأنه يكون بمثابة الخريطة التي

يسير عليها البحَّار في بحر هذا العالم – فيُعرِّفك أين توجد أماكن العطاء والبذل للآخرين حيث لا يوجد به خداع داخلي نفسي يضحك على الإنسان قليلاً قليلاً ويوحي له بأن الناس سوف يأكلون حقوقه. وهذا يرينا أن الذات ضد العطاء والبذل، فتصير الذات حجر عثرة للتقدم الروحي، فيتوقف الإنسان. والخوف أنه لو توقف الإنسان في مكانه فيكون ذلك تراجعاً شديداً جداً في الحياة الروحية. أنا أنظر للحياة الروحية ليس فقط لأجل أن نبلغ ملكوت السموات في نهاية رحلة حياتنا على الأرض، ولكن ملكوت السموات موجود عندك وفيك بقوة. جرّب أن تتنازل عن حقوقك (وطبعاً أنت مجرب) وحدثني عن الفرحة التي ستدخل أعماق قلبك " ملكوت السموات ... محبة وفرح وسلام ".

ثق أن أخبارك الروحية تهزني من الداخل بقوة، لأنه مهما عملت في العالم ولحساب حياة العالم فكل شيء في الآخر صفر، حتى لو حصلت على ملايين الجنيهات والأراضي والعمارات فكله يساوي حفنة تراب. فأنا عندي أنك تعيش على قدر احتياجك يوماً بيوم وفرحان وعايش بالإنجيل ولك تلاميذ يحيون حسب الإنجيل ليس

بالوعظ ولا على المنابر ولكن بالسلوك والحياة. هذه تساوي عندي دكتوراهات في كل العلوم. فالعالم يستطيع أن يعطيك كل شيء ما عدا الفرح والسلام، لأن هذه هيَ هبات الملكوت، إذاً فسعادتنا هيَ في أيدي الآخرين. لذلك تعمد الرب يسوع وقصد أن يقول لك " تحب قريبك كنفسك ". والقريب هنا أي إنسان أياً كان. والذي يحب يدخل منطقة النور والحياة " من يحب أخاه يسلك في النور ... نحن انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة ".

والحب هو البذل والتضحية من أجل الآخرين. فنصيحتي لك أن تنتبه للعالم لئلا يبتلعك ... إن شاء اللَّه سوف تنجح في العالم، ولكن انتبه وأنت تجاهد لئلا يجف قلبك وتدخله روح ظلمة هذا العالم فيتقسى، فترى روح الظلمة والمال والجاه والمراكز قد سيطرت على كل الكيان الإنساني ...

وصدقني أن الإنسان سهل جداً أنه يتقسى ويتكبر لأن هذا هو بروجرام الشيطان، فيجب أن تريه (الشيطان) أنك مُستعد أن تبذل جسدك ونفسك من أجل ربنا يسوع المسيح.

أرجو أن تهتم بأصدقائك وأحبائك ولا تحرم أي أحد من الإنجيل المكتوب داخل قلبك وتظهره في سلوكك، هذه نقطة أساسية في محور الحياة الروحية. إذاً هو الأساس (المسلح) لكل البناء والباقي هو بناء الجدران، أي الفضائل التي بُنيت على أساس الإنجيل المعاش. فأرجو أن تستمر في المحبة للجميع وإياك والبغضة لأي إنسان مهما كان. كن مُصراً كل حين على المحبة، والمحبة التي ليست بالكلام واللسان أو المعاملة، ولكن المحبة التي بالروح والحق التي يوجهك إليها روح اللَّه.

مقتطفات أخرى من رسائله إلى أولاده بأمريكا

.....

❖ أولادي الأحباء:

قلبي معكم باستمرار وأنتم تُجاهدون هذا الجهاد الكبير، وطبعاً أنا عارف أنكم تتعبون كثيراً في حياتكم، ولكن الرب يوفقكم ويحقق لكم كل الأهداف التي أمامكم لمجد اسمه. وأنا واثق أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون اللَّه. وأنا علَّمتكم أن أباكم الحقيقي يسوع

موجود معكم في كل شيء وفي كل مكان، وشاعر تماماً أنه سوف يسندكم لأنه أبوكم الحقيقي. وأمانتكم له ستجعله يزيد لكم الاستنارة ويفتح لكم آفاقاً جديدة. أنا عارف أن اللَّه سيعطيكم استنارة لتفتحوا الأبواب المغلقة وتعرفوا ما وراء الأبواب.

نصيحتي دائماً لكم بالبذل والعطاء وهذا هو طريق الفرح. فانتبهوا لئلا تفوتكم هذه النصيحة والوصية لأن الجو الروحي عندكم في أمريكا جليدي، أناني، خطر. صحيح فيه سلوكيات وإنسانيات ولكن ليس فيه القلب العاطي المُحب للبذل.

وإذا تذكرت أن الصلاة مهمة فالمحبة هيَ كل شيء للبذل. الطقوس والصلوات الكنسية وحدها لا توصلك لشيء ولكن البذل هو الذي يوصلك للفرح، وهو الذي أوصى به الإنجيل.

❖ ابني الحبيب:

أنا عارف أنك في وضع يجعلك تُفكر كثيراً، ولكن أرجو أن تقلل من التفكير وتشغل إيمانك. ثق ثقة واحدة وخطيرة أن اللَّه يستطيع أن يعمل بك كل شيء،

فقط لو سلَّمت حياتك كلية له!

كن مُخلصاً في عملك ومذاكرتك وفي محبتك لجميع الناس كي تجعل النور والفرح يدخلان إلى قلبك، وتصير الحياة لذيذة جداً طالما النفس فرحة والجسد سليم ولا تدخل في نفسك أية صراعات أو اكتئاب ... أرجو أن يكون قلبك مُتسعاً للكل، فكل ما اتسع قلبك كلما تفرح نفسك ويصح جسدك ونفسك.

وصدقني أنه لا يوجد طريق للفرح إلاَّ العطاء، والعطاء بلا مقابل حتى للأعداء، وهذه نصيحتي لك للأبد. أي أن الصليب والبذل هو الطريق الوحيد للقيامة والفرح، حتى لو جلست في الكنيسة ليلاً ونهاراً وحفظت جميع الطقوس، فلا يوجد تحرك حقيقي من مستوى روحي إلى مستوى روحي أفضل أو من فرح إلى فرح أكثر إلاَّ عن طريق العطاء. تعطي كل شيء، وبعدما تصل إلى الصفر وتفقد كل شيء من أجل اللَّه سيعوضك اللَّه كل شيء مرة ودفعة واحدة!

لكن انتبه إلى العالم والوقت الحاضر ضد المحبة. كما أن الضيقات والظروف الصعبة أحياناً تُفاجئ النفس في ظلمة، لكن كونوا دائماً مستعدين لها باستمرار. طبعاً

أمريكا بالنسبة للمغريات، قوية جداً وتمسح أية روحيات لو أن الإنسان استسلم لعادات الناس ومفاهيم الناس وسلوكهم. فإياكم أن تُصدقوا الناس – معظم الناس الموجودين في أمريكا منقادين لروح العالم ولا يعرفون روح اللَّه، وهم أموات روحياً - صحيح هم يعيشون حسب الجسد حياة رغدة، ولكنهم أموات حسب الروح، وليس فيهم روح اللَّه ولا الفرح الحقيقي. ولو فتشت داخل النفوس – حتى نفوس العلماء – فستجد منهم من هو مريض نفسياً. ومنهم من يتخلص من الهم والحزن الضاغط على النفس فيتخلص من حياته وينتحر. فتجدهم بعدما وصلوا للقمة في العلم والفن والمال ينتحرون. كل هؤلاء ليس فيهم روح اللَّه.

فيجب أن تأخذوا من أمريكا الأشياء المضيئة، أي كل الحضارة والعلم والمدنية، أما العادات السيئة فاتركوها لهم ... أرجو أن تنتبهوا عندما يختفي الصليب من حياتكم فيكون ذلك شيئاً مرعباً جداً وخطراً على خلاصكم، فيجب أن تكونوا مصلوبين للعالم من الداخل ومن الخارج، فتحملوا الصليب الذي منه دائماً ينبثق فرح القيامة. فتخبروا الكل بفرح الحياة الأبدية.

لقد فرحت جداً بالمجلة التي أرسلتموها لي وفيها خبر موضوع الراهب الذي خدم بمحبة في وسط مرضى الإيدز، وفي آخر الأمر أخذ الإصابة هو نفسه وصار مريضاً بنفس المرض. فرحت لأنه توجد نفوس أنكرت نفسها وذاتها وحملت صليبها كل يوم لتتبع المسيح حتى الموت، موت الصليب، لدرجة أني تمنيت أن أحضر عندكم لأخدم يسوع المصلوب في شخص المرضى والمتألمين، وأحمل الصليب حتى الموت. وهذه حاجة تُفرح قلب المسيح جداً. أنا باكلمكم من خلال الروحيات وليس كأب جسدي، أنا دائماً أعيش بأحاسيس روحية، وأنا مُتأكد أنكم تعيشون بنفس هذه الأحاسيس. لذلك أنا باحبكم محبة روحية وسعيد بكم لأنكم صرتم مصدر نور في أمريكا. وأشعر أن فيكم كل الصفات والفضائل الحلوة التي كنت دائماً أتمنى أن أتحلى بها وأنا في سنكم وعمركم، ولكنكم أخذتموها بدري لأنكم رأيتم نماذج حلوة في أديرة وادي النطرون، وعرفتم المسيح فعلاً وظهرت فيكم آثاره الإنجيلية ورائحته الذكية في أمريكا، ورآها واشتمها أصدقاؤكم

الأمريكان، لذلك فأنا أُمجد اللَّه على بذل ومحبة "إيهاب"، وأمانة وعفة "مرقس"، وتنفيذ "وسام" لوصايا الإنجيل وعلاقته القوية بالمسيح، وليس على شطارته أو على عبقريته (هذا الابن حاصل على دكتوراه في الهندسة من ألمانيا ويعمل بأمريكا في مجال تخصصه).

فأشكر إلهي على عطائه لكم، وثقوا أن الناس الذين يلتفون حولكم في أمريكا ليس من أجل المعونة ولكن لأنهم رأوا فيكم نور الإنجيل الذي أنار لنا طريق الحياة والخلود. "إيهاب" حاصل على أبوة خاصة من اللَّه بمحبة منبسطة على الكل، فاللَّه يجعلك عموداً لإخوتك وأسرتك وللبشرية كلها. أمَّا "وسام" فله نوعية خاصة من التلمذة للمسيح، فأنت لك دالة عند المسيح واللَّه يتمجد في عملك وسلوكك، فكل واحد فيكم له طعم وأنا بأمجد اللَّه على ما أسمعه عنكم. أمَّا "مرقس" ففرحي به عظيم، لأنك يا "مرقس" بأمانتك الكاملة وسلوكك المسيحي تُفرح قلب المسيح. وأنا أدعو اللَّه أن تكون كارزاً للمسيح فتكون بعطائك ومحبتك تُظهر للناس محبة المسيح ... أشكر اللَّه على محبته لكم ومؤازرته لكم.

يجب أن تكون محبتكم بعضكم لبعض كاملة وقوية لكي لا يستطيع العالم ولا الشيطان أن يشدكم أو ينال منكم، فلو أنكم اتحدتم روحياً برباط المحبة الكامل فسوف تكونون في منتهى القوة، ولا أقصد أن تكونوا متحدين جسدياً – لأن البُعد والقرب ليس هو بُعد وقرب الأجساد، ولكن بُعد وقُرب القلوب – بل متحدين روحياً وقلبياً، كل واحد فيكم يجب أن ينظر إلى حاجة أخيه ويتساءل ما هيَ احتياجاته، ويقف بجانبه ليلبي ويستجيب لكل احتياجاته الروحية والجسدية، وكل واحد فيكم يُفضل أخيه على نفسه. فقرب الأجساد والقلوب جميل جداً، ولكن عندما تكون القلوب قريبة والأجساد بعيدة فهذا البُعد ليس له أهمية، فأنا مثلاً بعيد عنكم جسدياً، ولكن قلبي معكم. أنا بيني وبينكم قارات ومحيطات، ولكنني قريب منكم وقلبي معكم، لا أعرف متى سأراكم، ويمكن أنتقل من هذا العالم ولا أراكم (كانت هذه العبارة نبوة من فم البار د. فاروق لأنه بالفعل انتقل قبل أن يرى أولاده). ففي هذا الوقت لا تكون هناك مسافات ولا محيطات بل أكون معكم دائماً أبداً.

يجب أن تكون قراءتكم للإنجيل منتظمة وتعملوا دراسة منتظمة ولا تكون قراءة " كرّ فرّ " كي تدخل الكلمة داخل قلوبكم كالسيف فتبكتكم وتكشف العيوب الخفية، وتقيسوا أنفسكم وسلوككم وتصرفاتكم على الوصية لكي تدخل كلمة اللَّه قلوبكم وتدينكم! كم سوف يتم نموكم الروحي لو ابتدأتم اليوم بقراءة الإنجيل قراءة واعية، فمن خلال احتكاكاتكم السلبية اليومية مع العالم ومعها قوة الإنجيل الروحية سوف تبنوا وتبنوا، وتصيرون أناساً عُظماء روحياً وتقتنوا الفرح الذي لن يُنزع منكم أبداً.

" والآن أستودعكم ... للَّه ولكلمة نعمته، القادرة أن تبنيكم وتُعطيكم ميراثاً مع جميع المُقدَّسين " (أع 20 : 32). وهذه هيَ وصيتي لكم ...

إن نجاحكم الأرضي سيظل ليس له قيمة حتى ينبثق منه النور السماوي الذي يُمجد اللَّه. فأُمنيتي ووصيتي لكم هيَ الاتصال الدائم بالسماء واللَّه مهما كانت الأسباب وأهميتها ومهما كان الوقت ضيقاً، فيجب أن تعطوا للَّه والروحيات الأولوية في حياتكم، وأن تراجعوا أنفسكم دائماً وباستمرار على ضوء الإنجيل والوصية

ورسائل بولس الرسول والرسائل الجامعة، والعظات والكتب الروحية التي للآباء المُختبرين لأنها قوية ونافعة.

وأغلقوا على أنفسكم باب مخدعكم، وصلوا لأبيكم الذي في الخفاء، واجلسوا واسمعوا وتعلموا منه السلوك والحياة لتتعزوا وتفرحوا ويدوم فرحكم.

✣ ✣ ✣

في سنكسار يوم 13 بؤونه، تُعيِّد الكنيسة للقديس يوحنا الثاني أسقف أورشليم الذي تنيَّح سنة 419م. وسيرة هذا القديس مؤثِّرة للغاية تفتح باب رجاء عظيم في المسيح يسوع. فبداية سيرته كان ناسكاً مُجاهداً كثير الرحمة وصاحب صيت حسن وفضائل كثيرة أهَّلته بأن يختاروه أسقفاً على أورشليم، وكان له صديق عمره في

الروح وفي شركة الحياة النسكية اُختير أيضاً أسقفاً على قبرص وهو الأب أبيفانيوس.

وكان لمَّا صار الأب يوحنا أسقفاً أن انزلق إلى المجد الزائف والأبهة والسُّلطان كمثل ملوك وأمراء العالم، فاقتنى ما اقتنى وصار يعمل ولائم لأصحاب الجاه والمُقرَّبين. وكانت أدوات المائدة من فضة وذهب وتحف ثمينة على الرغم من فقر عامة الشعب في ذلك الزمان. فلمَّا انتهت أخباره إلى أخيه الروحي في قبرص، لم يُصدِّق شيئاً مما سمع لأنه كان يعلم مقدار الحياة النسكية والرحمة التي عاشاها في الدير معاً. فلمَّا ازداد ورود مثل هذه الأخبار سافر إلى أورشليم متظاهراً أنه يزور الأماكن المقدسة. وفي نيَّته أن يطَّلِع على حقيقة الأمر. فلمَّا زار الأب يوحنا وهذا أكرمه بالمآدب ورأى الأواني الفضية، يقول التاريخ أنه توجَّع قلبه مما رأى!!

ثم ذهب إلى أحد الأديرة القريبة ليختلي بعض الوقت ومن هناك أرسل رُسلاً إلى الأب يوحنا يطلب أواني المائدة الفضية لكي يكرم بها بعض زائريه. فكان أن أرسلها الأب يوحنا كلها إلى الأب أبيفانيوس. فلمَّا

وصلت الأواني قام مُسرعاً وباعها جميعها وتصدَّق بثمنها على المساكين ولم يبق منها شيئاً. فلمَّا أرسل الأب يوحنا يطلب استرداد الأواني، رد عليه الأب أبيفانيوس قائلاً: أمهلني عدَّة أيام. ثم عاد وكرَّر الطلب، فتلقى نفس الإجابة كالمرَّة الأولى، وهكذا ... بدأت الشكوك تساور الأب يوحنا من جهة أواني الفضة.

ثم إذا تقابلا في كنيسة القبر المقدس، أمسك الأب يوحنا بتلابيب صديقه الأب أبيفانيوس وهو يقول له: لا أتركك إن لم أسترد الأواني والفضيات التي استعرتها منِّي!! فابتدأ الأب أبيفانيوس يوقظ ضميره ويعظه بكلام الروح. فأُصيب الأب يوحنا بالعمى وفقد بصره!! وهنا انفتحت بصيرته الداخلية، وصرخ ببكاء التوبة والندم متوسِّلاً لأخيه الروحي أن يُصلِّي عنه. حينذاك توسَّل الأب أبيفانيوس إلى الرب من أجله، فانفتحت إحدى عينيه. فقال له: أن الرب بمحبته شاء أن تبقى إحدى عينيك هكذا كعلامة لا تُنسى.

ويقول التاريخ: إنَّ الأب يوحنا منذ ذلك الحين تناهى في أعمال الرحمة والحنان على المساكين وذوي الحاجات، ورجع إلى سيرته الأولى يكملها بالأصوام

والصلاة وأعمال الحُب والرحمة على كل ذي حاجة، حتى أنه عند نياحته لم يوجد في حوزته درهماً واحداً.

وقد ذكَّرتني هذه السيرة العجيبة بحياة شابين كانا زملاء في الدراسة في إحدى كليات جامعة الإسكندرية. وقال تآلفت روحاهما بمحبة إنجيلية صادقة، وكانا يكثران من الصوم والصلاة، وكانا يخدمان الرب خدمة متواضعة لكن بأمانة وفرح. وكانا يواظبان على حضور اجتماع الشباب بكنيسة مارجرجس باسبورتنج ... دائمي الاعتراف والتقرُّب إلى الأسرار الإلهية.

فلمَّا أكملا دراستهما، افترقا بسبب ظروف العمل. وكانا يتقابلان كُلَّما أُتيحت لهما فرصة اللقاء. رُبَّما مرة كل سنة. وهكذا إذ دخلا إلى الحياة العملية وانشغلا بمتطلباتها، صار لقاؤهما على فترات متباعدة، ثم سافر أحدهما إلى خارج البلاد في بداية أيام الهجرة عام 1969م، واندمج في المجتمع الجديد لعله يُحقِّق نجاحاً في هذه البلاد الجديدة، ولم يكن هناك كنيسة ولا مصريون مسيحيون ... كان هذا في أواخر الستينيات من القرن الماضي. كانت هناك عقبات كثيرة: اللغة، الغربة، عدم

وجود كنيسة، ...وهكذا تحت هذه الضغوط وبمرور السنين صار يبرد قليلاً إلى أن انتهى إلى حياة غير مرضية، والتصق بزميلة له في العمل، ثم تصاحبا وانتهت الحياة إلى انحدار في خطايا ... وقد ضعفت الأصوام فليس من مشجع حتى غابت من الحياة، وفترت الصلوات ... وأصبحت وقفة قصيرة بجوار الفراش يتلو فيها أبانا الذي بذهن شارد وبرودة أصابت القلب.

قضى هذا الأخ في هذه الحالة سنوات طالت إلى 12 سنة وهو في نزول مستمر من سيء إلى أسوأ. بعد أن انقطعت أخبار هذا الأخ إلى سنوات وإن كان هناك اتصال فهو دائماً يقول أنا بخير دون تفاصيل. وصلت إلى صديقه إشاعات عن سيرته وحياته في بلاد الغربة. لم يُصدِّق!! فما يعرفه عن صديقه هو حصيلة أيام الصبا والشباب، سنوات طويلة كانا فيها يتمتعان بعِشرة المسيح إلى أقصى ما يستطيع الإنسان ... فالمسيح هو الحياة كلها. شاغل البال والفكر ومحور الكلام والصمت والغاية والوسيلة في آن واحد ... فلم يكونا يعرفان شيئاً سوى يسوع المسيح وإيَّاه مصلوباً، وبه وفيه كل الحياة، ومن خلاله يعرفان كل إنسان ويحكمان في كل شيء.

فكيف تنزلق المسالك هكذا؟! وكيف تستساغ الخطية كمنهج أو حياة؟! أين رصيد الصلوات والأصوام وخدمة الفقراء والاحتمال من أجل يسوع؟!

هل كل هذا الرصيد يضيع ... حاشا ... ظلَّ هذا الأخ يستطلع الأخبار من كل جهة ويحاول خلال أصدقاء وأقارب في أمريكا لعلهم يصلون إليه أو يعملون معه عملاً. وبدأت حركة النعمة. أليس هو أخي في المسيح وشريك جهادي، كيف أتركه هكذا؟! كانت أفكاراً مقدسة تدفعه للخدمة والبذل، وحُبَّاً شديداً نحو نفس تكاد تهلك جوعاً في الكورة البعيدة.

فلمَّا زاد دفع النعمة، تحرَّك في شجاعة، ترك عمله، ترك زوجته وولديه، واستخرج جواز سفر وحصل على تأشيرة، وسافر بغير تأخير. وفي يوم سفره اتصل بقريب به في ولاية أخرى، فاستقبله ومن هناك اتصل بصديق عمره. فوجيء الأخ بالمكالمة! وسأل أين أنت؟! ... قال أنا قريب منك جداً. تحرَّكت مشاعر محبة روحية قديمة، وأشرق شعاع داخل ساديب الظلام، وهتف قائلاً: قريب مني فين؟ قال: أنا في نيويورك ... مش معقول أنا غير مصدِّق ... في

نيويورك!! قال: سأحضر عندك غداً ... فأجاب قائلاً: لا بل أنا سأجيء وأقيم عندك، تذكرتي معي وسأراك بنعمة المسيح بعد يومين. وقد كان ... سافر إليه، واستقبله بعناق روحي يصعب التعبير عنه، وسُكِبَت دموع ودموع ... استصحبه إلى بيته ... وكان قد أعدَّ البيت أن يكون كما ينبغي ... بيت صلاة. لقد تخلَّص بغير رجعة من كل الماضي كما في لحظة واحدة. وكأن الماضي بكل ما فيه لا يَمُت له بصلة.

أشرقت الشمس، وبدد النور الظلام ... كم سعدا بوقفات الصلاة الطويلة ومزامير نصف الليل. لقد أحضر له صديقه إنجيلاً وابصلمودية وسنكسار وبعض الكتب الروحية القديمة التي طالما تمتعا بها سوياً. وقد لاحظ الأخ أن صديقه لم يذهب إلى العمل يوماً واثنين وثلاثة حتى كمل الأسبوع. فقال له: لماذا لا تذهب إلى عملك؟ قال: يا أخي لقد تركت عملي يوم حضرت إليَّ لأن عملي كله عثرات، وقد تأثرت بها كثيراً فوددت أن أقطع صلتي بكل الماضي!! ولكن هل ستظل بلا عمل؟ قال: لا ... أنا أثق أن المسيح سيرزقني عملاً أفضل. وقد كان في ذات الأسبوع

ففرح بالتدبير الإلهي.

سأل الأخ ... ألا توجد كنيسة قريبة منك هنا؟ قال: الحق أنني منذ سنوات لم أُفكِّر في هذا الأمر، ولكن توجد كنيسة على بُعد ساعتين أو يزيد. قال له: ألا تصطحبني لنذهب. ذهبا يوم السبت وهناك تقابلا مع الكاهن الذي يخدم هذه الكنيسة، قابلهما بفرح شديد. لقد سمع من كثيرين عن هذا الأخ، وعبثاً حاول أحد أن يُقرِّبه إلى الكنيسة.

طلب الأخ أن يجلس مع أبونا، فجلس وقد طالت الجلسة إلى ساعتين أو يزيد. وكان بكاؤه يُسمَع من بعيد. لقد اغتسل بدموع غزيرة في توبة صادقة، وفي الصباح تقرَّب من الأسرار.

مكث الصديق في زيارة أخيه عدَّة أسابيع كانت كأنها أيام السماء على الأرض ... شبعا فيها من العِشرة الحقيقية مع اللَّه، وتنعما بالفرح والعزاء والتسبيح والصلاة. وفي معرض الحديث قال الأخ لصديقه: أنا أشير عليك أنك تنزل إلى مصر لتبحث لك عن شريكة لحياتك تكون إنسانة متدينة تقية تعينك على احتمال مشاق الحياة والغُربة هنا. وفوجيء الأخ بالإجابة. لقد

نذرت باقي أيامي للحياة بالمسيح، وعوض الخطايا التي انزلقت إليها، سأحيا مُجاهداً لضبط نفسي وجسدي وروحي. قال الأخ: ولكن هذا الجهاد صعب عليك ولعلك تضعف فترجع إلى وراء. فقال له: أنا لا أثق في نفسي، ولكني أثق في نعمة المسيح المُخلِّصة التي تُعين الضعفاء.

تعاهدا على الصلاة لأجل بعض والاتصال الدائم، وسافر الأخ إلى مصر وهو يُمجِّد اللَّه على عمله وحبه. وكان بعد أن عاد إلى مصر يتلقَّى خطاباً من صديقه كل أسبوع ملؤه الفرح والعزاء الروحي. وكان الكاهن يفتقده من حين إلى آخر، فيجده مُتهلِّلاً بالروح، مواظباً على الصلاة بلا فتور. وقد زاد على ذلك إذ باع منزله واستأجر شقة صغيرة لسكناه. وكان يرسل مبالغ كبيرة لصديق عمره لتوزيعها على الخدمة التي كانا يخدمانها معاً من عائلات مستورة ومرضى لا يعرفهم أحد.

ظلَّ الأخ على عهده في الصلاة وأعمال الرحمة، وكانت حياته غاية في السعادة حتى كل مَن يراه يجده مُتهلِّلاً. وفي يوم على غير توقُّع وهو في طريقه إلى عمله دهمت سيارته سيارة نقل كبيرة ... صدمته من

الخلف، فارتطم رأسه بالزجاج الأمامي للسيارة. فلمَّا جاء رجال الإسعاف وأخرجوه من سيارته فإذا هو قد فارق الحياة.

لقد كمل اللَّه له نذره الذي نذر. فعاش طاهراً ناسكاً تائباً، ومات وهو في حال الصلاة إذ كان يتمتع بسماع القداس الإلهي وهو في سيارته في طريقه إلى العمل. وظل الكاسيت في السيارة يذيع باقي القداس إذ لم يتحطَّم بالحادث. وسأل رجال الإسعاف أي لغة هذه، كان من بينهم رجل لبناني، فقال هذا شريط صلاة القداس باللغة العربية. كان الكاسيت للقداس الإلهي بصوت المتنيح الأنبا بنيامين مطران المنوفية الأسبق، وكان في الموضع الذي يقول فيه: " أتيت إلى الذبح مثل حمل حتى إلى الصليب. أظهرت عِظم اهتمامك بي. قتلت خطيتي بقبرك ... " أخرج الأخ اللبناني شريط الكاسيت من المسجل، واحتفظ به حتى سلَّمه للكاهن مع باقي المُتعلِّقات الشخصية التي وجدوها.

نقل الخبر إلى الكاهن الذي كرَّس أياماً هو وبعض الخدام لعمل اللازم نحو هذا البار ... وجدوا وصية كُتب فيها أنه حال وفاته يُدفن جسده في مصر ... في

مدافن الأمير تادرس بالإسكندرية بجوار والدته. وكان وصول جسده يوم عيد مارمينا العجائبي ... فبكاه جماعة من الخدام ورفقاء الشباب مع كل الأقارب.

وكانوا يتحدَّثون عن عجائب أعمال اللَّه في خدامه، وأن المسيح بالحق هو مُخلِّص العالم، وباب الرجاء مفتوح كانفتاح يدي يسوع على الصليب.
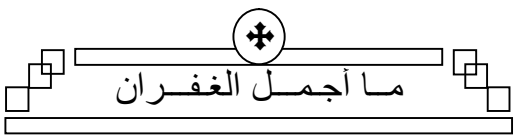
✣ ✣ ✣

نشرت إحدى المجلات قصة دارت أحداثها في أحد أديرة الكنيسة الروسية الأرثوذكسية. ومفادها أنه كان قد حصل خلاف بين راهبين في ذلك الدير، أحدهما كاهن والآخر شماس. وقد احتدَّ الخلاف بينهما حتى وصل حد القطيعة. حتى أنَّ الكاهن إذا دار بالبخور يتحاشى الاقتراب من الشماس لكي لا يعطيه البركة!! إلى هذا

الحد كان قد احتدم بينهما الخصام، وعبثاً حاول الآبـــاء الإصلاح بينهما.

وقيل إنَّ الكاهن أصـــابه مـــرض عضـــال ألزمـــه الفراش وساءت حالته، بل وأشرف على المـــوت. وقـــد بذل الآباء جهداً لإقناع الراهـــب الشـــماس أن يـــزوره وهو في فراش الموت، لكنه أظهر من القساوة مـــا لـــم يتوقَّعه أحد. بينما كان الكـــاهن الطـــريح يتوسَّـــل إلـــى كل زائريه أن يأتوا إليه بالشـــماس، فتحامـــل الكـــاهن على نفسه وحاول أن يقترب إليه ويصنع لـــه ميطانيـــة قائلاً: اغفر لي يا أخـــي ... فـــامتلأ الشـــماس غضـــباً وقال بقسوة: أنا لا مسامحك لا علـــى الأرض ولا فـــي السماء!!

وتقول القصة: إنَّ الشماس فيما كان يشـــيح بوجهـــه وينطق بهذه الكلمات القاسية سقط على الأرض، فوقـــع عليه الآباء يحاولون إسعافه ولكنه قد فارق الحيـــاة فـــي تلك اللحظة. ولدهشتهم وجدوا أن الكاهن المـــريض قـــد وقف على رجليه ممتلئاً من الصحة وكأنه لم يصـــبه أي مرض!! فلمَّا سألوا الأب عن السبب قال لهم: إنه كـــان يرى الملائكة يشيحون بوجوههم عنه وهو على فـــراش

مرضه، لذلك كان يطلب بإلحاح أن يُصالح الأخ لئلا يُحرَم من النصيب السماوي. وقال: إنني رأيت الملاك وقد استل سيفه وضرب الأخ وهو يقول عبارات عدم المغفرة فضربه وأسقطه. ولمَّا صرت في ذات اللحظة في رهبة شديدة، مد الملاك نفسه يده إليَّ وأقامني!!

هذه قصة واقعية مؤثِّرة تحمل معنى حقيقياً للغفران وقدرته على شفاء الإنسان ليس بحسب الجسد بل بما هو أقوى وأنفع. وهذه القصة الواقعية أيضاً تجعل الإنسان يرتعب من القساوة والحقد وعدم الغفران والتَّمسُّك بالعناد ضد وصية المسيح الغالية. وقد قال أحد الآباء: " إن مراحم اللَّه مُتسعة أمام القتلة والزناة والسارقين لكنها تُغلق أمام الحقود ".

وقد رأيت في حياتي كثيراً من الصنفين، وكنت أتعزَّى بالذين انحازوا لعمل النعمة ووصية المسيح مُخلصنا، بينما كان القلب يمتلئ حزناً وإشفاقاً على الذين تمسَّكوا بالعداوة وداسوا وصية المسيح بأقدامهم. رأيت مئات الذين تمسَّكوا بصلابة الرأي بعناد، فتهدمت بيوت برمتها وندموا ... ولكن بعد فوات الأوان.

وعلى العكس فإنَّ النفوس التي حازت نعمة الغفران

لم تستطع قوى الشر أو الحقد أن تقوى عليهـا. لكـنهم بالخير غلبوا الشر.

" ماذا ينتفع الإنسان لو رَبحَ العالم كله وخَسِرَ نفسه ".

" إن أخطـأ إليـك أخـوك فاذهـب وعاتبـه بينـك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك ".

الأمر ببساطة شـديدة يـتلخَّص فـي المكسـب أو الخسارة. ومعروف أن الربح أو الكسب يفرح الإنسـان. والفقد والخسارة تحزن الإنسان. فإن كسبت الدنيا كلهـا، وأهملت خلاص نفسك، فلا وجه للمقارنة بين ما كسبت وما خسرت. إذ جعل الرب ربح النفس وخلاصها أثمـن وأغلى من ربح العالم كله ... فإن قيس العالم بكـل مـا فيه بالنفس. فالنفس تعلو عليه وترتفـع ... لمـاذا؟ لأنَّ العالم يمضي وكل ما فيه، ولأنَّ العالم زائل ويـزول ... أمَّا النفس وقد اقتناها المسيح بدمه، فهيَ بالحق أثمن من العالم ...

هنا وفي أمر الصلح والصفح المسـيحي والغفـران يكون الهدف هو ربح نفسي وربح نفس أخـي ... فلـو دفعت العالم كله وكل ما أملك لكي أربح أخي، فأنا رابح كسبان ... وإن خسرت أخي واكتنـزت كنـوز الـدنيا

وحققت ذاتي وكرامتي وانتصرت وأثبت أني على حق، فقد خسرت كل شيء ... فخسارة أخي الذي مات المسيح لأجله خسارة لا يعوِّضها شيء من حطام هذا العالم.

أعرف إنساناً في المسيح ذاق نعمة الغفران، وتمتع بها ومارسها في حياته العملية مع القريب والغريب فكان يُسامح بلا حساب، ويسعى في إثر الصلح والسلام على حساب نفسه. وكان يجني ثمرة الفرح ونقاء القلب.

جاءني يوماً وهو مواظب على الاعتراف، جاءني باكياً ووجهه مُكمَّد، جلس إلى جواري يبكي. وهو رجل في أواخر الخمسينيات من عمره. هدأت روعه بكلمات قليلة، واستفسرت عمَّا يزعجه إلى هذا الحد!! وأنا أعرف أن كل أموره في سلام. قال: لقد حدث لي خلاف مع أحد أصدقائي. قلت خيراً يا حبيبي. قال: كان بيننا مصالح مادية وبينما كنا نناقشها اختلفنا. قلت أمر بسيط، الأمور المادية أمرها سهل. كُلَّما تخلَّى الإنسان عن الطمع، وأحب العطاء أكثر من الأخذ كوصية السيد الرب. فلا توجد مشكلة. قال: بالحق أن أعلم هذا وقد تصرَّفت على قدر إمكاني على هذا النحو. قلت: وماذا؟

قال: لكن الأمر لم يخل من عكارة، ثم انصرفنا. قلت: وماذا بعد ذلك؟ قال: لم تمض ساعة إلاَّ ووجدت صديقي أمامي يبحث عنِّي، وقد فاجأني بأنه ارتمى عليَّ يعتذر ويقول سامحني. قلت: نشكر اللَّه الذي حرَّك قلبه. فماذا يبكيك؟ قال: أنا شاعر كأنني اتسرقت!! وكأن أحداً أخذ إكليلي!!

كانت هذه من المرات النادرة في حياته أن يسبقه أحد إلى الاتضاع والاعتذار!! كانت عادته أن يُسرِع إلى الاتضاع أمام الآخر مهما كلَّفه الأمر. وكان في كل مرة يحصد فرحاً وسلاماً إلهياً يملأ كيانه. قلت له: يا أخي لا تكن طماعاً ... فإن كان أخوك اكتسب فضيلة مثل هذه يجب أن تفرح لأنه فرَّح قلب المسيح.

هكذا عاش هذا الأخ مُختبراً قوة وصية مُخلِّصه، فأحبها عن قناعة كاملة، وعرف أنها الطريق الوحيد إلى ملكوت المسيح. بينما رأيت على مدى أيام خدمتي نفوساً تتقسى فتكسر المحبة بلا رادع، وتتمسَّك بالعداوة حتى الموت ... وهذا أمر مُحزن للنفس يحرم الإنسان من المسيح. لأن الذي يثبت في المحبة يثبت في اللَّه. فمَن يحرم نفسه من المحبة، كيف تثبت فيه محبة اللَّه!!

أعرف إنساناً كان لـــه صـــديق عمـــره ... كانـــت محبتهما مضرباً للأمثال. فلمَّا حدث لهما ما اختلفا فيـــه، وظن كل منهما أنه صاحب حق، زادت الفرقة بينهمـــا. ثم انتقل أحدهما من هذا العالم. وبعـــد ســـنوات كانـــت مجموعة من الأحباء يشاهدون ألبوماً من الصـــور، بـــه صورة قديمة كانت تجمع الصديقين. فلمَّا رأى الصـــورة التي تجمعه مع صديقه المتوفي. قال لصاحب الألبـــوم: ارمي الصورة دي من هنا!!

تعجبت وتأسَّفت في نفسي وقلت: وهل تبقى العـــداوة حتى ما بعد الموت؟

كان المتنيح القمص مكسيموس كاهن المراغة، رجلاً بسيطاً طيب القلب، وكُنا ونحن في سجن المرج يحكـــي بعض النوادر التي صادفها في حياته. ومن المضحكات المبكيات قال لي إنه كان هناك اثنان من الرجـــال فـــي الكنيسة التي يخدم بها على خلاف دائم، وكانت بينهمـــا قطيعة وعدم سلام. ولمَّا توفى أحـــدهما كـــان الآخـــر حاضراً الصلاة عليه في الكنيسة، ولكن العداوة مالكـــة على قلبه تماماً.

قال أبونا مكسيموس: بينما كنت أُصلِّي وأقول: هـــذه

النفس التي اجتمعنا بسببها ... افتح لهـا يـارب بـاب الفردوس ... باب الراحة ... كان صاحبنا من خلفي يقـول بلهجته الصعيدية: " ما تبّعهوش يارب، أي لا تسـتجب يارب لدعاء الكاهن في طلب الرحمة!!

تعجَّبت لمَّا سمعت، وقلت في نفسي إلى هذا الحد إذ ملك الشيطان على قلب الإنسان بالعداوة فإنه ينحدر إلى أحط المستويات.

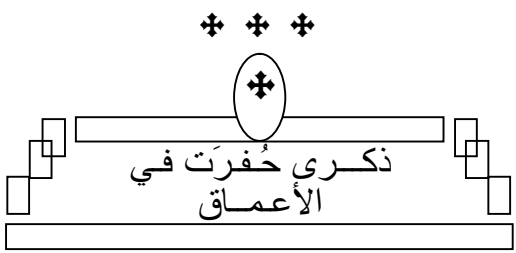

الأستاذ حافظ زكي إنسان فاضل عاصر الأيام الأولى لولادة كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج، وكان هو وعائلته من أحب الناس إلى قلب أبينا بيشوى كامل، وكان من الخدام الذين وضعوا أنفسهم لخدمـة الكنيسـة منذ نشأتها. فالرجل ملائكي الطبع، كان جسـده علـيلاً، فهو مولود بعيب في العامود الفقري، فكان قصيراً فـي

قامته مع هذا العيب الخلقي، ولكنه كان حلواً لكل أحد، رقيقاً مُجاملاً، كثير الصلاة، مُحبَّاً للمسيح مُتمسِّكاً بوصاياه. كان بحق نموذجاً للكمال المسيحي في جيله.

كان مشهوداً له في عمله من غير المسيحيين. محبوباً في الكنيسة من جميع الإخوة وبلا استثناء، عاش في الكنيسة من أواخر عام 1959 إلى أن أقعده المرض في أواخر التسعينيات. ولم يُذكر أن رآه أحد محتداً أو غاضباً. كان وديعاً كسيده، لا يسمع أحد صوته في صياح. لم يُذكر أنه يوماً ما على مدى هذه السنين في العمل في لجنة الكنيسة أنه صار بينه وبين أحد من الناس خلاف على شيء أمر عجيب!! لقد احتفظ الرجل بوداعة المسيح فيه وباتضاعه العجيب كان يتصاغر أمام الكل فأحبه الكل ... وفي اتضاعه المذهل كان مرتفعاً في نظر الآباء والإخوة.

وفي سنواته الأخيرة كان قد فقد الذاكرة تماماً، فلم يعُد يعرف أحداً، حتى أولاده وحتى نفسه لم يكن يعرفها في الصور. لقد أتت الشيخوخة على ذاكرته تماماً. وقبل وفاته بشهور كنت في زيارة للإسكندرية وذهبت إلى منزله. فالرجل عزيز على قلبي جداً، وقد عشنا سنوات

طويلة في محبة صادقة ومودَّة مسيحية. فقد كان بيته بالنسبة للآباء: أبينا بيشوى وأبينا تادرس وأنا، كان هذا البيت كبيت عنيا. كان الواحد منا يميل إلى هذا البيت ومثله كثير من بيوت الأحباء في أيام خدمتنا في مارجرجس باسبورتنج نأكل أو نشرب أو نستريح قليلاً. كانت بيوت كثيرة مفتوحة لنا، وكُنا نشعر أن هذه بيوتنا، فالمحبة التي غمرنا بها الأحباء كانت كبيرة ومقدسة.

ذهبت إلى منزل الأستاذ حافظ، كنت لم أره لسنين، وأنا لا أطيق أن أرى أحبائي هكذا، أود دائماً أن أحتفظ بصورتهم المشرقة كما أعرفها بعيداً عن هزال الجسد أو أعراض الموت. وجدت الرجل كما لا أحب أن أراه، ولكنني غصبت على نفسي، رآني ... انفجر في البكاء ... لم يعرفني. سلَّمت عليه أقبله. قبَّل يدي، اندهشت ابنته عندما رأت ذلك. جلست أتكلَّم إليه ... ازيك يا عم حافظ ... أحاول أن أقول شيئاً ... الرجل ينظر إليَّ وهو غير مركِّز في شيء ولا يجاوب بشيء. كم اعتصر قلبي وتألَّمت!!

ثم دون أن أدري سألته: إنت فاكر أبونا بيشوى؟ وكأنني فجرَّت قنبلة!! وإذا بالرَّجُل يصرخ ويقول: أبونا

بيشوى ... أبونا بيشوى ... إزاي يا أخي تقول كده ... أعرفه؟ طبعاً أعرفه ... أبونا بيشوى وأبونا تادرس وأبونا لوقا ... دول حبايبي يا أخي ... إزاي الكلام ده؟ ثمَّ ركَّز نظره فيَّ وقال: العجيب يا أخي إن عينيك زي عنين أبونا لوقا!!

تأثرت جداً. لقد حُفِرت ذكرى أبونا بيشوى عميقاً في نفس الرَّجُل، أعمق من أن يمحوها المرض أو الشيخوخة أو يأتي عليها الزمن. وأدركت أنَّ الروح في الداخل يتجدَّد حتى ولو أن الإنسان الخارجي يفسد ويذوب.

✣ ✣ ✣

بالحقيقة وهب لنا نحن المسيحيين المؤمنين بِاسم ابن اللَّه كنز عظيم، ألا وهو الصلاة عندما نرفعها إلى المسيح إلهنا بإيمان، وقد دلَّنا الرب عليها في كلماته الإلهية حين قال: " صلوا كل حين ... صلوا ولا تملوا ... كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه ... ولو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم

تقولون لهذا الجبل انتقل فينتقل ... لأنَّ كل شيء مستطاع للمؤمن ".

وقد اختبر آباؤنا ومارسوا حياة الصلاة بإيمان وطاوعتهم الجبال كقول الرب الصادق وشفوا مرضى وأقاموا موتى وأخرجوا شياطين وصنعوا قوات وعجائب بقوة الصلاة بإيمان.

قرأت في البستان عن واقعة مُعبِّرة مفادها أن الآباء الذين سكنوا في برية سيناء في وقت من الأوقات انقطع عنهم المطر لمدة طويلة وكان الجفاف يُهدِّد حياتهم. وكان أحدهم يسير في البرية فقابل أحد المتوحدين. فقال له: يا أبي إن انقطاع المطر لمدة طويلة يُهدِّد حياتنا. فقال له المتوحد: يا آباء صلوا. فقال له الأخ: يا أبي لقد أطلنا الصلاة وأكثرنا الأدعية ولكن لم يحدث شيء. فقال له المتوحد: على ما أرى يا أخي أنكم ما صليتم. ثم رفع يديه نحو السماء وصلَّى. ففي الحال أمطرت السماء. فرجع الأخ إلى الآباء وأعلمهم بما جرى.

نحتاج إذاً أن ندرك أننا لم نُصلِّ بعد كما يجب أن تكون الصلاة. لا كممارسة شكلية أو روتين مكرر يفقد

الصلاة فاعليتها، بل صلاة القلب النقي وطلبة البار التي تقتدر كثيراً في فعلها.

كنت في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي أعرف أحد الخدام، كان الرب قد وهب هذا الخادم قلباً بسيطاً نقياً ومتواضعاً. وكانت الصلاة هيَ معتمده الوحيد وملجأ في كل عمل وكل خدمة. وأذكر أنه كان يخدم في وسط عُمال معظمهم من البائعين المتجولين يسكنون متجاورين في حي روض الفرج بالقاهرة بجوار سوق الجملة للخضار والفاكهة. كانوا بسطاء من جهة العلم والمعرفة ولهم عاداتهم وطريقتهم في الحياة والتفكير. وكانت لهم مشاكلهم وعراكهم في محيط عيشتهم وعلاقتهم بما في ذلك من ملامح مجتمعهم ولغتهم وطريقة تفهمهم لمَا يدور حولهم.

دخل هذا الخادم الطيب إلى وسط تلك المجموعات وهم عائلات كثيرة بعضهم أقارب ومعظمهم من صعيد مصر ولهم كثرة من الأولاد من أعمار مختلفة. كان يزورهم في بيوتهم ويجلس معهم يشاركهم معيشتهم. يُعلِّم الأطفال ترنيمة بسيطة أو جزء من مردات القداس. ويُحفِّظهم نعظمك يا أم النور أو قانون الإيمان بصبر

وطول بال عجيب. ويتكلَّم مع الكبار كلمات الإنجيل يضعها في قالب بسيط مشوق.

كان الكل يحب الأستاذ ميشيل أمين بابتسامته الرقيقة وصوته الرقيق لأنَّ بالحق كانت نعمة اللَّه عليه بسبب تواضع قلبه. فلمَّا توطدت علاقتهم به بدأوا يلجأون إليه في مشاكلهم وهيَ كثيرة في علاقاتهم وماديـاتهم البسيطة. وكان للأخ ميشيل منهج عجيب في حل مشاكلهم. لم يكن يجلس معهم كقاض يحكم أو حتى مستمع لعتاب أو عراك أو لم يكن يسمح لنفسه أن يسمع صوت شجار أو تبادل ألفاظ. كان يلجأ للصلاة فيقول لهم: تحبوا نصلي الأوَّل، نقول أبانا الذي ... وحينما كانوا يقفوا للصلاة كان يرفع قلبه إلى المسيح الذي أحبه ويناجيه بكل خلجات نفسه بصدق عجيب بلا تنميق لكلمات، بل ببساطة القلب يضع الأمر أمام المسيح وفيما هو يُصلِّي يتلو أجزاء من المزامير ويُكرِّرها ويتوسَّل إلى العذراء القديسة أن تنظر إلى أولادها كأم تعطيهم محبة بعضهم لبعض. وما أن كان يفرغ من الصلاة حتى يتعانق المتخاصمون. حقاً كانت صلاة إيمان مقتدرة في فعلها.

حدث يوماً شجار شديد كان قد دبَّ بين قريبين منهم وقد تراشقا الاتهامات والشتائم ثم تشابكا بالأيادي وكان الجو هكذا مُلبَّداً بكثرة الكلام والخصام. يومها سمع الأخ ميشيل بذلك فأسرع إلى بيت أحدهم وكان له دالة قوية عند الجميع. كلَّمه كلاماً هادئاً وديعاً يصرف الغضب، وصلَّى معه، وذهب للآخر وفعل كذلك ثم قال لكل منهما أنتم ناسيين إن اليوم هو عشية عيد الصليب لنذهب إلى الكنيسة، لا تدعو أمراً من أمور الدنيا يمنعنا من التعييد للصليب. الصليب الذي صالح المسيح به السمائيين مع الأرضيين وقتل العداوة. ذهب كل منهما على حِدة وكان هو واقفاً عند باب الكنيسة. فلمَّا حضر الأول قال له: هل قلبك صاف من جهة قريبك؟ قال: بالحق أنا مازال قلبي معكر، فقاده إلى حجرة في مدخل الكنيسة وقال له: صلِّ قبل أن تدخل إلى الكنيسة وتتراءى أمام اللَّه وأنت مازلت تذكر الشر لأنَّ يسوع قال: " إن قدَّمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيء عليك أترك قربانك اذهب أولاً اصطلح مع أخيك ".

ووقف ينتظر الآخر فلمَّا جاء قال له: مرحباً يا عم فلان، هل قلبك صافح عن قريبك؟ قال له: بالحق لا.

قال: تصوَّر إنه واقف يُصلِّي من أجلك بكل قلبه ويطلب لك نعمة. فقال الرَّجُل: أهذا معقول؟! فأشار إلى قريبه فرآه واقفاً رافعاً يديه. فقال الأخ ميشيل: تعال نُصلِّي معاً ... ثم وقفا بجوار الأخ. ثم صلَّى الأخ ميشيل بابتهال واتضاع أمام اللَّه. وقضى وقتاً طويلاً، ثم إذ أنهى صلاته والتفت وإذ هما متعانقان باكيان وكل منهما يقول للآخر: بل أنا المخطئ وأنت أبر منِّي ... ودخل بهما الأخ ميشيل إلى الكنيسة حيث عيدا للصليب بحق وصدق. ثم تقابلا كلاهما مع أبونا ميخائيل وكان كاهناً طيباً قديساً. فقالا: ممكن نعترف؟ فقال: بكل سرور. فقال أحدهما: نعترف نحن الاثنين مع بعض كي تسامحنا وتقرأ لنا التحليل ... فقال أبونا: كل واحد على حدة. فقالا: بل اسمح لنا ... وكانا يتسابقان من يقول أنه مُخطئ الأول. وتعجَّب الكاهن الطيب وصلَّى لهما وباركهما ... وقف الأخ ميشيل من بعيد مطأطئ الرأس يتهلَّل قلبه بثمرة الصلاة.

✣ ✣ ✣

غـيرة بيتـك اكلتـني

يقول المُرنِّم: "أحببت جمال بيتك وموضـــع مســـكن مجدك"، ويقول: "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات".

وقد تسلَّمنا مُنذ نعومة أظافرنا كيف نحـــب الكنيســـة ونُقدِّسها، ونشتاق إليها كشوق الغـــزال إلـــى مجـــاري المياه ... "تشتاق نفسي للدخول إلى ديار الـــرب " ... فالأشواق الروحية نحو الكنيسة - بيـــت اللَّـــه - شـــيء

لا يُعبَّر عنه بالكلام. إن الوجود في الكنيسة فرح وأمان وسلام، أليست هيَ باب السماء؟!

وقد رأيت كثيرين من الذين تعلَّق قلبهم بالكنيسة، فصارت هيَ كل شيء لهم، وعاشوا فيها يوماً فيوماً وخدموا فيها حتى آخر نسمة. أحد أحبائي (شحاته محروس) كان يعمل في الطب الشرعي بالإسكندرية ... عندما بدأنا كنيسة السيدة العذراء في كليوباترا. وجد في هذه الكنيسة الجديدة ضالته المنشودة! فصار كأنه حجر من حجارتها. متواجداً دائماً، ونشيطاً دائماً في كل ما يوكل إليه من أعمال، غيوراً على كل ما فيها.

وعندما كُنا نجد مقاومات من خارج، كان يمتلئ غيرة، وكُنا نشفق عليه ونطمئنه أن صاحب الكنيسة ورب الكنيسة هو المسئول عن سلامتها وليس بذراع البشر يكون سلامها. وكان في خضوعه وحبه يهدئ نفسه، وكنا نحول كل هذه إلى مزيد من الصلاة وتقديس النفس.

وكان هذا الأخ يُكرِّس كل وقته للعمل في الكنيسة. كُنا نبني شرقية الكنيسة في عجلة، ولكن بفرح شديد. وخطر في بال الأخ شحاته أن يُبيِّض الأجزاء حديثة البناء، فلم يستأجر أحداً، بل قرَّر أن يقوم بذاك العمل

بنفسه. ذهب واشترى مواد البياض وكل ما يلزم العمل. وكان يرجع من عمله يخلع ملابسه ويلبس ثياب الشغل ويقوم ببياض الحوائط. وفيما هو يفعل ذلك يستغرق في التسبيح والتماجيد، وكان صوته كنسياً مُعزِّياً.

وفي يوم من الأيام وقبل أن يكتمل العمل، عاد كعادته وخلع ملابسه واستغرق في العمل، يده ممسكة بالفرشاة، وصوته العذب يصدح بالتسبيح ... وبجواره بعض الشبان الذين أحبوا روحه، وطريقة حبه وتعلُّقه بالكنيسة. وفجأة وجدوه قد كفَّ عن التسبيح. سكت صوته العذب. والتفتوا إليه وإذ هو واقع في الهيكل ودون أن يدري أحد ... وفي لحظة خاطفة ... سكت الصوت على الأرض ليُكمل الترنيمة الجديدة في السماء!! ومن الهيكل المرئي في الكنيسة على الأرض إلى الهيكل الناطق السمائي ... كان انطلاقه هكذا عجيباً ... طوباه ...

❖ في نفس الكنيسة كان أحد أعضاء مجلسها (الأستاذ ميلاد عزيز) رجُلاً تقيَّاً متواضعاً حباه اللَّه بقلب بسيط مملوء بالمحبة. وكان قد أُحيل إلى المعاش، فوجد في الكنيسة مكان راحته. كان يقضي مُعظم يومه

في الكنيسة، وكان حنوناً جداً على الفقـراء ... فـأحبوه ليس فقط من أجل إكرامه لهم وسخائه، بل مـن أجـل معاملته الطيِّبة ووداعة نفسه.

هذا أيضاً انطلق إلى الفردوس بعد مغادرته الكنيسـة بدقائق قليلة ... وهو مُزيَّن بكل زينة روحيـة، وحيـاة تقوى، وصلوات بلا انقطاع. وترك رحيله أسـى فـي النفوس، ولكن كان الفقراء هم أكثر مَن افتقـده كنصـير لهم يحمل أتعابهم على نفسه.
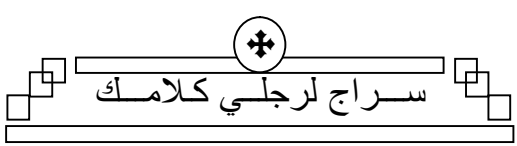
✣ ✣ ✣

أعرف سيدة في المسيح، بدأت مشوار الحياة وحيـدة لأبويها في إحدى قرى صعيد مصـر، ومنـذ نعومـة أظافرها انفتحت بصيرتها باستنارة الحياة في المسـيح، فأبوها رجل تقي خائف اللَّه، شماس مُتعبِّد. كثير الرحمة على الفقراء، رقيق المشاعر نحو ابنته الوحيـدة، وقـد تربَّت هذه الابنة في حضن كنيسـة القريـة الصـغيرة.

ليس لها تسلية سوى الإنجيل المقدس تقرأه بشغف فينطبع على ذاكرتها النقية محفوراً في أعماقها، وقد ساعدتها حياة النقاوة على استيعاب الكتب المقدسة استيعاباً يندر وجوده، إذ قد حفظت عن ظهر قلب كثيراً من الكتب فكانت تستظهرها كمن يجتر الحياة، ويلهج في ناموس الرب الذي وجدت فيه مسرتها نهاراً وليلاً.

وإذ قد تشبَّعت الحياة بالإنجيل الحي، صارت تستزيد من ينبوعه على مدى تسعة عشر عاماً، كانت خلالها قد حفظت كثيراً من كتب العهد الجديد، مثل رسالة يعقوب، وبطرس الأولى، ومُعظم إنجيل يوحنا، والموعظة على الجبل. ومن كتب العهد القديم مُعظم المزامير، فصولاً كثيرة من إشعياء النبي، وهكذا، أضف إلى ذلك الاستيعاب الذهني والروحي لكل الكتاب المقدس، بل وقد تتذهل أن الأسماء القديمة والمُلابسات والسير، كل ما ورد في الكتاب المقدس كان منطبعاً في قلبها حاضراً دائماً في ذاكرتها النقية.

ومن الأمور التي يتعجَّب لها أنها لم تكن تعرف القراءة، سوى في الكتاب المقدس إذ قد تعلَّمت به وفيه

وحده كيف تقرأ، إذ لم تكن قد ذهبت إلى مدارس العالم ولم تنل شيئاً من علوم هذا العالم.

زوَّجها والدها إلى ابن أخته وكان هو الآخر رجُلاً بسيطاً في مقتبل العمر مُحبَّاً للَّه يحيا حياته الريفية البسيطة بحسب تقاليد جيله وقوراً رغم صِغر سنه جاداً حكيماً، ولم ينل هو الآخر شيئاً من العلم بل كان لا يعرف القراءة والكتابة، لكنه كان يتمتع هو الآخر بحبه للمسيح وللكنيسة وقد كان وهو بعد شاب صغير، أحد المتحمسين لبناء كنيسة في قريته، وقد شارك بكل جهده ووقته في ذلك وفيما هو وآخرون يحفرون أساسات الكنيسة عثروا على شورية قديمة في الأساسات مع أنَّ الموقع الذي اختاروه لبناء الكنيسة لم يكن سوى قطعة من حقل، فاستبشروا خيراً وزادوا فرحاً وشددوا أيديهم للعمل.

فكان إذ ارتبط بزوجته النقية برباط الزواج المقدس، أن أثارت حياة التقوى التي تحياها والمعرفة الإنجيلية التي تمتَّعت بها، أثارت هذه فيه الغيرة المقدسة. فطلب منها أن تُعلِّمه كيف يقرأ الكتاب المقدس فعلَّمته فصار فرحاً مسروراً بهذه النعمة وابتدأ يغترف

لنفسه من ينبوع الحياة ... حتى فاق كثيرين ممن درسوا وتعلَّموا، إذ كان قبل نياحته بسنين كثيرة يقرأ الكتاب المقدس بعهديه بصفة منتظمة مرتين كل عام، وهذا زاده فضيلة وحب للخدمة فكان يخدم في مجال حياته كل نفس تتصل به، يسعى كسفير يُصالح الناس مع اللَّه، ويُصالح الناس مع بعضهم ويبصرهم بخلاص أنفسهم، وقد ترك سيرة فريدة في الحب الخالص والاتضاع والاكتفاء والشبع الروحي مع أن نصيبه من حطام هذا العالم الزائل لم يتعد الكفاف في كل شيء.

ضاقت حياة الريف بهذا الرجل الطيب وزوجته التقية، فرحلا إلى القاهرة، عاشا فيها بضع سنوات ثم انتقلوا إلى إحدى مدن الوجه البحري، وكان الرجل يُجاهد ليعول أسرته كعامل بسيط يكاد بالجهد يحصل على الضروريات، ولم يكن الفرح والشكر يفارقا حياته، ولسانه يلهج بالحمد من أجل النعم التي أجزلها له الرب. فكان هانئاً بهذا القليل سعيداً غاية السعادة ولعلَّ هذا السلوك الروحي - الذي يبكت آلاف العائلات الذين يملكون كل شيء ولكن لا يملكون الشكر ولا الفرح -

كان يرجع إلى قناعة الزوجة المُتَّكِلة على اللَّــه وغيــر الطامعة في شيء بل كانت تتصدَّق من هذا القليل وتعطي مَن هم أكثر احتياجاً. وبسبب الــدخل البســيط وضــيق الحال كانت هذه الأسرة البسيطة تســكن أحــد الأحيــاء الشعبية الفقيرة جداً في أطراف تلك المدينة، وفي إحدى زقاقات هذا الحي استأجرت هذه الأسرة بيتــاً صــغيراً، ولم يكن يسكن أحد من المسيحيين في تلك الجهة لأجــل الوسط الصعب من عادات وســلوكيات، ناهيــك عــن الصياح والعراك والشتائم التي لا تكف، فلغة وتصرُّفات الناس في مثل هذه الأحياء المعدمة شيء لا يُطاق.

ولكن كما سكن لوط البار في مدينة الأشرار محفوظاً بقوة إلهية، صار ملاك الرب حافظاً لهذه الأســرة، فلــم تترك هذه الأجواء بصماتها على حياة الزوجة النفســية ولا الرجل الطيب بل قد حفظوا أولادهم من الاخــتلاط بالمُعاشرات الرديئة، فكانت الأم كثيرة الصلاة، كثيــرة التسبيح تغرس في أطفالها الصغار بذار الحياة مع اللَّــه ومع انتظامها في الحياة مــع المســيح والتنــاول مــن الأسرار بصفة دائمة والقراءة الواعية في كلمة الحيــاة، صارت سبب بركة حتى للجيــران غيــر المســيحيين

يلجأون إليها يسمعون كلمتها، تقودهم بحياتها الوديعة إلى السلام وقد عرفوا عنها أنها مقدسة نفساً وجسداً وروحاً وأن لسانها لا ينطق كلمة واحدة نابية، وأنها لا تحب أن تسمع الصياح والشتائم والكلام القبيح، فكانوا إذا جالسوها يحرصون ألاَّ يتفوهوا بكلمة واحدة نابية. فاحترموها وأحبوها ولم يكن بينها وبين أحد خصاماً أو شجاراً. فشهدت هيَ للمسيح بحياتها وشهدوا لها أنها ليست من هذا العالم.

كانت هذه البارة تختلي كل أمسية مع أطفالها الصغار، تغلق بابها، كأنها منعزلة تماماً عن جو العالم الخارجي، وتشبعهم صلاة وتسابيح وتراتيل روحية، وكان قد أنعم الرب عليها بصوت ملائكي شجي، فكان أن انطبع في كيان صغارها حب المسيح وحب التسبيح وحياة الصلاة، فضلاً عما غرسته فيهم من محبة حفظ الإنجيل الذي هو تسليتها وعزاؤها.

وكان إذ بسط الرب عليها رحمة وإنعاماً تكاثر أولادها حولها فأصبحت كما يقول المزمور: كالكرمة المخصبة، وبنوها كغروس الزيتون. وهيَ في خدمتهم وسد احتياجاتهم تبذل قصارى جهدها وجلّ وقتها.

وكانت في أحيان كثيرة وسط مشاغل اليوم وكثرة الطلبات تُرهق جسدياً وإذ تضيق نفسها كانت تجلس بلا مقدمات وتطلب إلى أحد أبنائها قائلة: " أعطيني الإنجيل يا ابني لأن روحي ها تطلع ". وإذ تفتح إنجيلها تعود إلى فرحها وتعود إليها تعزيتها وكأنها تتزود بشحنة جديدة لمواصلة المشوار، وكانت نفسها عطشى إلى كلمة اللَّه ترتوي وتشبع وتفيض إذ تجري من بطنها أنهار ماء حياة كقول المسيح.

ومن حيث أنه لم يكن لها في تلك البلد قريب أو عائلة، فكانت تلازم بيتها لا تخرج منه سوى مرَّة واحدة كل أسبوع في يوم الأحد، تستصحب أولادها إلى الكنيسة حيث تتناول من الأسرار الإلهية، وتعود بهم وهيَ ممتلئة نعمة وسلام. وكان أولادها يُلاحظون أن ثيابها تعطر البيت كله، ودولاب الملابس يعطر بخور، وكأنها كانت تختزن رائحة بخور القداسات المتواترة، وبالحق كان بخور الصلاة يفوح ليس من ثيابها بل من كل حياتها.

في الخمسينيات رُزِقت بطفلة كانت الخامسة في ترتيب أطفالها، وكانت الطفلة آية في الجمال في خلقتها،

بشعرها الأصفر الذهبي وعيناها الزرقاوتان وبشرتها البيضاء الناصعة. فكان جميع جيرانها ومعارفها ينبهرون من جمال الطفلة وخفة دمها. مرضت الطفلة وهيَ بنت سنتين وحار الأطباء في علاجها وكانت تضمر وتذبل يوماً بعد يوم، وفي ظهيرة أحد الأيام وكانت هذه الأم البارة تحمل طفلتها المريضة وإذ بها تسلم روحها وهيَ في حضن أمها. لم يكن لها سابق خبرة بمثل هذه الأمور، أسندت جسد ابنتها إلى الفراش وركعت بجوارها تبكي وتُصلِّي وتقول: " يارب أنت تعلم أن عبدتك فقيرة وضعيفة وعديمة المعرفة، وليس لي سواك، وهذه طفلتك، خليقتك وعمل يديك، منك أخذتها وفي يدك أستودعها، منك ولك الكل، الرب أعطى الرب أخذ ليكن اسم الرب مُباركاً ". فصار مسلكها الروحي عظة لكل مَن حولها.

خدمة الصلاة

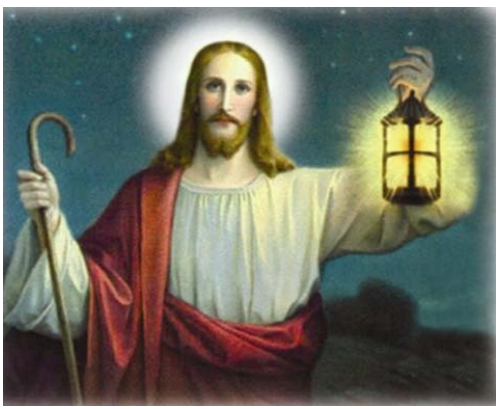

في نهاية عام 1979م ذهبت لتقديم العزاء لإحدى السيدات المُسنات في وفاة زوجها. وكانت هذه الأسرة من عائلات الكنيسة الذين - لمَّا تمَّ بناء كنيسة الملاك - صارت أقرب إلى مسكنهم، فكانت هيَ وزوجها يصحبهم أحد أبنائهم في سيارته إلى الكنيسة. وأحياناً كثيرة كان الرَّجُل وزوجته يذهبان سيراً على الأقدام. وقد أُصيب في سنواته الأخيرة بشلل نصفي منعه من السير. فكان

يتألَّم أنه لا يستطيع أن يذهب إلى الكنيسة ماشياً، فكنت أداعبه بقولي وأنا لا أذهب إلى الكنيسة ماشياً لأني أذهب بالسيارة. وكانت لنا معهم عِشرة طيبة ... فهم أسرة متدينة، ربُّوا أولادهم في مخافة اللَّه. وكانت تربطني بهم صلة محبة قوية، وكان أحد أبنائهم تلميذاً لي في كلية الهندسة عام 1965.

جلست إلى السيدة الفاضلة نتكلَّم بكلمة اللَّه وقرأنا فصلاً من الإنجيل. ولمَّا فرغنا قالت لي الأم الفاضلة: إن قلبي يوجعني وأتألَّم كثيراً من أجل الرهائن الأمريكان المحتجزين في إيران!! صدقني إنني بسببهم لا أنام الليل، فأقوم مرات كثيرة في الليل أُصلِّي وأتضرَّع من أجلهم.

فقلت مُداعباً: لماذا؟ هل لكِ أقارب من هؤلاء الأمريكان؟ ... أو هل تعرفين اسم أحد منهم؟ ... أو لعلَّ أحدهم زميلاً لأحد أولادك؟ قالت: لا شيء من هذا، ولكنهم نفوس في ضيقة، وأنا قلبي لا يحتمل أن يكون إنسان ما في ضيقة أو شدة كهذه.

تعجَّبت بالحقيقة وقُلت في نفسي هذا هو القلب المسيحي الذي حاز على شعور المسيح وخيريته وقلبه الحاني على كل الخليقة. وتذكرت ما كُتب عن الآباء

القديسين الذين كانوا يئنون من أجل كل متضايق، ويشاركون الضعفاء والمعوزين بأعمال الرحمة والصلوات. وعرفت كيف وضع الآباء بالروح صلوات من أجل النفوس المتضايقة، والمقبوض عليها، والذين في السجون، والمظلومين، والمربوطين، والمُقيدين، والمُذلِّين لكي يرفع الكاهن قلبه بالصلاة متضرِّعاً إلى اللَّه كشفيع يُشارك الكل " مَن يضعف وأنا لا أضعف " ... " أُذكروا المقيدين ".

✣ ✣ ✣

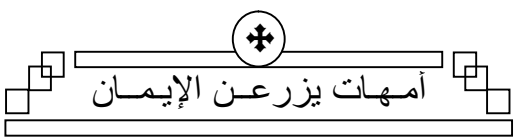

أحد أحبائي وهو إنسان مُحب للمسيح متعلق بالقديس مارجرجس تعلقاً يفوق الوصف، ويثق أن مارجرجس شفيعه يعمل معه أعاجيب ببراهين كثيرة على مدى حياته كلها. وصديقي هذا رجل فتح الرب له أبواباً كثيرة منعماً عليه بإحسانات وافرة من كل جهة وكان إذ بسط له الرب يد نعمته صار غنياً في نفسه وحبه وتعاظمت نعمة ربنا معه حتى في الأمور المادية،

وهو رجل سخي جداً مُحب لعمل الخير، مدّ يده بالعطاء لنفوس لا حصر لها، فهو لا يطيق أن يرى إنساناً محتاجاً أو في ضيقة أو ضعيف الإمكانيات وقد صار مشهوراً بهذه النعمة مشهوداً له من كل عارفيه.

ولكني كنت أفتكر في نفسي عن سر السخاء هذا ونعمة العطاء التي يتمتع بها، ترى من علَّمه؟ ومن رباه على هذه الفضيلة؟ فهو في نشأته الأولى لم يكن من عائلة غنية عندها كثرة الموارد، بل من عائلة متوسطة الحال، فالأب موظف بسيط والأم لم تكن تعمل بحسب ما كان جارياً في وقتهم. وفيما أنا متفكر في هذه ... جلسنا مرة نتحدث عن أعمال اللَّه وأعمال الرحمة التي تورث الإنسان رضى المسيح وأنها باب مفتوح في السماء وكم يكون الحال عندما نسمع من فم المسيح الديان قوله الحنون: " تعالوا إليَّ يا مباركي أبي ... لأني جعت فأطعمتموني ... الخ ".

وفيما نحن نتكلم أخرج الرجل من درج مكتبه جنيه مقطوع نصفين وقال في تأثر شديد شايف ده؟ قلت: نعم. قال: هذه وصية أمي رحمها اللَّه التي لم أحب

وأقدس إنساناً في الوجود مثلها فهى عندي بعد اللَّه. قال هيَ التي أمسكت بهذا الجنيه وقطعته إلى نصفين وقالت يا ابني إذا كان معك جنيه واحد في حياتك اقسمه مع إنسان محتاج. قال صديقي: كنت وقتها شاباً صغيراً ربما 16 أو 17 سنة ومن محبتي لها ولوصيتها صرت أنفذها بالحرف. ثم إذ أكرمني اللَّه بخيرات كثيرة ظلت وصية أمي مقدسة عندي وهي في الواقع وصية المسيح التي كانت تحياها رغم ضيق حالها ولكن كانت حياتها عطاء وبذل فقط.

لذلك كانت تحيا الفرح الدائم بوجه مشرق فرح مدى حياتها " لأن المعطي المسرور يحبه الرب "، فهيَّ عاشت محبة للَّه محبة للمساكين ... وأنا أشعر أن هذا سر البركة في حياتي.

صرت أمجد المسيح الذي عبده آباؤنا بتقوى حقيقية ونفذوا وصيته المقدسة التي هيَ باب السماء وسلَّموها لأولادهم كحياة وخبرة تُعاش.

❖ أم أخرى حكيمة ذات شخصية قوية ومحبة للمسيح عاشت حياتها في جهاد روحي وعملي فقد توفى زوجها

وترك لها 8 أولاد، ابنها الأكبر كان في الثقافة – أي ما يعادل ثانية ثانوي الآن – ولم يكن لها سوى دخل قليل جداً. ففي يوم وفاة زوجها وجسده مسجى في البيت بعد. دخلت به إلى حجرتها وقالت للولد ... اسمع يا حبيبي بابا لم يمت فقد كان يخدم المسيح ويتجول في البلاد يعمل خيراً ... فهو لم يمت ووضعت يدها في يد ابنها. وقالت أنت رجل ويدي في يدك وبنعمة المسيح نكمل المشوار.

كان هذا الموقف وهذه الكلمات قوة دافعة لابنها مدى الحياة. وقد سند الرب هذا الشاب فصار من كبار الرجال وأنفعهم. دخل الحياة العملية يتاجر في جنيهات قليلة ويتعلم، وكانت أمه تسنده وتُعلِّمه كيف يحب الجميع من أعماق قلبه ونفسه بلا تمييز. فصار سنداً للضعفاء وأفنى حياته يخدم الناس الضعفاء والفقراء وذوي الحاجات، واتسعت صلاته إذ صار من أكبر تجار الإسكندرية. كانت علاقاته بجميع الناس حب وخدمة، كان يرتاح في المحبة ويبذل نفسه ساهراً كل ليلة يحل مشاكل الناس.

صارت له صلات وثيقة بالحكام من رجال البوليس والنيابة والقضاء وهذه كان يستغلها لإنصاف الضعفاء

وقليلي الحيلة. وإذ عرف فيه الناس هذا القدر العجيب من الحب تعاظمت عليه الخدمات من الجميع مسلمين ومسيحيين، بل كانت غالبية أحبائه من المسلمين.

تعرف بمستشار عُين حديثاً بالإسكندرية اسمه سيد العشري، رجل مؤدب على خلق وأمانة يندر وجودها، فلما تعرف عليه صديقي هذا قال له المستشار ... تعرف أنك أول مسيحي أتعامل معه، فقد نشأت في قرية كل سكانها من المسلمين ثم في الجامعة لم أتعرف على أحد مسيحي وهكذا في عملي. وكنت لا أعرف تماماً مَن هم المسيحيون حتى عرفتك. ثم عرفني صديقي هذا بالمستشار وتوطدت بيننا علاقات محبة وطيدة حتى توفى.

مرضت السيدة الفاضلة بعد سنوات الجهاد بعد أن ربت الأولاد وصاروا جميعاً نافعين أصحاب بيوت مقدسة محبين للمسيح ومحبين لخدمة المسيح. ورقدت في الرب بعد صراع طويل مع السرطان. كانت جموع المعزين المحيطة بالبيت ألوف من الناس ... رفضوا أن يوضع الصندوق الذي يحمل جسدها في عربة، حملوها على أكتافهم إلى كنيسة مارمينا بفلمنج.

اجتمع آباء كهنة كثيرون وأكملنا صلاة الجناز. ثم وقفت لأتكلم كلمة عزاء وإذ بالكنيسة في زحام شديد جداً، تطلعت في جموع الناس معظمهم وجوه غير مألوفة عندي، أكثر من 80 % من المعزين كانوا غير مسيحيين. تكلمت عن المعمودية عندنا نحن المسيحيين هيَ الولادة الثانية، وبعد الولادة الثانية تُسلِّم الكنيسة المولود إلى الأم (أو الاشبين) لتربيته، فهى من جهة الولادة الأولى الجسدية، ترضعه وتعوله ثم تعلمه المشي والكلام وكل ما يختص بأمور الجسد. ومن جهة الولادة الثانية، فهى تزرع فيه طريقة الحياة الروحية المسيحية من محبة بلا رياء واتضاع وخدمة غسل الأرجل وجميع وصايا المسيح تدربه عليها كيف يحياها وكيف يمارسها.

هكذا قلت للناس كل ما رأيتموه في صديقي هذا ليس له فيه فضل، بل الفضل يرجع إلى هذه البارة التي أرضعته مع اللبن العادي، أرضعته لبن الإيمان العامل بالمحبة. ولما خرجنا قابلني المستشار سيد العشري واحتضنني بقوة وحلف قائلاً ... لم أسمع في حياتي كلمات كلها صدق وحق كما سمعت اليوم.

❖ في يونيه 1981م كنت جالساً بالكنيسة أتقبل اعترافات بعض الشبان. ساعتها جاءني واحد منهم وقال سيدة أجنبية تريد أن تتحدث معك. قلت تنتظر حتى أنتهي من الاعترافات، فلما فرغت ذهبت إليها، كانت واقفة بجوار مزار أبونا بيشوى، سلّمت عليها، وسألتها عن حاجتها. قالت: " أنا سويسرية أخدم في مجلس الكنائس العالمي، وأنا مهتمة أن أجد الطريق المثالي لعبادة المسيح وخدمته. قلت في نفسي: أتتبع آثار القديسين أينما أسمع عنهم لعلي إذا تحققت من نموذج حياتهم أحذو حذوهم وأنضم إلى الكنيسة التي نشأوا فيها. فسمعت عن قديسين كانوا في روسيا، ذهبت إلى هناك، وزرت أماكنهم وكنائسهم وأديرتهم. وسمعت عن آخرين في صربيا في يوغسلافيا فذهبت وذهبت إلى اليونان وذهبت إلى أورشليم. وأخيراً سمعت عن البابا كيرلس السادس وعن أبونا بيشوى كامل فجئت إلى القاهرة وتعرفت بكثير من عائلات الأقباط، وزرت دير مارمينا. وها أنا الآن عند أبونا بيشوى. إن أرت أن تحدثني عنه غير ما سمعت من

حكايات ". وقصت لي بعض القصص التي سمعتها ممن قابلتهم.

فلما جلست معها وجدتها قد جمعت معلومات كثيرة من كل مَن قابلتهم بما في ذلك سياسات الكنيسة، بل ومشاكل وخلافات. قلت لها ... متى حضرت إلى الإسكندرية. قالت صباح اليوم. قلت لها ... ومتى تغادرينها. قالت ... الساعة 2 بعد الظهر. كانت الساعة وقتها تقرب من الثانية عشر. قلت في نفسي ماذا ستستفيد هذه الأخت من كثرة الحكايات، إنها مجرد تسلية وتضييع وقت، وأنا ليس عندي فسحة من الوقت لأضيعه. فلمَّا نظرت إليَّ وأنا متفكر في نفسي في هذا الأمر قالت ... لو كان عندك قليل من الوقت لتقضيه معي ممكن تأجيل سفري.

راجعت نفسي وقلت إن النفس الواحدة مات المسيح عنها، فلماذا أخيب رجاءها ... ومن يعلم؟ قلت إن كُنتِ جادة في طلبك فأنا لا أملك وقتي ولا أملك نفسي، كلها ملك المسيح، ثم بدأت أكلمها بكلام التوبة والرجوع إلى اللَّه وتقديس الحياة نفساً وجسداً وروحاً لأني أعرف حياة معظم الأجانب وعاداتهم. فقالت هذه حياتي

الشخصية، قلت أنا أقصد حياتك الشخصية، لأنك لو تعرفت على جميع القديسين حتى وهم أحياء في الجسد وعرفتي كل سيرهم وأسرارهم ولكن لم تحيي حياة القداسة وحياة الصلاة وحفظ وصايا المسيح بماذا تفيدك هذه المعلومات. فليس مَن رأى قديساً صار قديساً بل مَن يحيا حياة الوجود مع اللَّه ويحفظ وصاياه يصير قديساً. قالت ... إذن كلمني كما تشاء. فتحنا الإنجيل المقدس وتكلمنا، كانت الساعة قد بلغت الثالثة بعد الظهر، استضفتها في منزلي، رحبت بها زوجتي وأطفالي الصغار وكانت والدتي مقيمة معي في تلك الأيام ... سلَّمت عليها وحيتها بابتسامة لأن أمي لم تكن تعرف الإنجليزية.

ولما وجدت قبولها لكلام الإنجيل بشغف وفهم أعطيتها وقتاً وأعطيتها بحسب ما أعطتني النعمة أن أقول. وكانت معها نوتة دونت فيها كل كلمة قلتها لها. استأذنت أن تقيم عندنا يوماً أو يومين. قلت لها بكل سرور. وكانت فرصة طيبة لها أنها سألت في كثير من الأمور ثم تدرجنا إلى الكلام في الإيمان ثم العقيدة الأرثوذكسية وتاريخ كنيستنا وقديسيها، شيء كثير جداً.

ثم بعد ذلك ذهبت بها إلى الأوتوبيس لكي تعود إلى القاهرة بسلام. وفي الطريق ... قلت أسألها ماذا استفادت وما الذي أثر فيها من كل ما سمعت وعرفت، فسألتها ... فردت عليَّ رداً جاء مخالفاً لكل توقع. قالت أكثر حاجة تأثرت بها وملكت على مشاعري وحركت روحي هيَ والدتك. قلت وكأنني سمعت خطأ ... ماذا؟ قالت ... ماما. قلت وكيف وهى لم تتكلم معك كلمة واحدة، ولا تستطيع أن تكلمك لأنها لا تعرف لغتك. قالت ... صحيح كل ما كلمتني أنت وعيته بذهني وكتبت في مذكرتي لكي لا أنسى وهو كلام قيم وصالح لنفسي.

ولكن ما كنت أبحث عنه هو المثال المسيحي الحي، وهذا وجدته في هذه السيدة. فلما رجعت بذاكرتي تذكرت أنها خلال اليومين كانت تنظر إلى والدتي طويلاً وتتأملها وهى في حركتها وابتسامتها المشرقة وحبها للصغار وسكوتها أوقات طويلة كأنها في حالة الوجود مع اللَّه. حقاً كانت أمي - نيح اللَّه نفسها - نعمة اللَّه عليها. وقد أدركتها هذه الأخت، لقد أعطاها الرب سؤل قلبها حينما فتشت لترى كيف تكون حياة

القديسين فوجدتها في هذه السيدة البسيطة. وهذا لا يوصف بوصف ولا تستطيع كل الكتب أن تعبِّر عنه ... إنها حياة.

✣ ✣ ✣

قصة السائح الروسي الذي انشغل بالآية التي تقول: " صلوا كل حين بلا انقطاع " فراح يبحث في كل مكان ويسأل كل أحد من الوعاظ والمفسرين ويسافر إلى بلاد وبلاد بلا هوادة ولم يهدأ له بال حتى عثر على أحد النساك الذي يحيا حياة الصلاة الدائمة وتعلم منه كيف يحيا حياة الصلاة بلا انقطاع. فصارت الصلاة هيَ زاد الحياة وصارت له مثل التنفس اللازم للحياة فلا غنى عنها. وصار قلبه يلهج بالصلاة حتى في نومه " أنا نائمة وقلبي مستيقظ " كما تقول عروس النشيد.

وقصة السائح الروسي أثرت أثراً بالغاً في حياة المسيحيين في أنحاء العالم ولا سيما الأرثوذكسيين الذين يسعون ويشتاقون إلى حياة الكمال المسيحي وحياة الصلاة. والأصل في حياة الصلاة الدائمة هذه وممارستها كانوا في الحقيقة آباء البرية الأوائل كالقديس أنطونيوس ومقاريوس وأنبا بمويه ويوحنا القصير الذي كان يختطف عقله في الصلاة إلى حد عدم الشعور بما حوله. وقد كان أبونا بيشوى كامل متأثراً بسيرة السائح الروسي ومتتلمذاً على حياة الآباء ويود لو يمارسها كل أولاده. وكثيراً ما أرشد أولاده في الاعتراف إلى اللهج ونداء اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح بحسب تقليد الآباء في هذه الصلاة القصيرة أو كما أسماها (الصلاة السهمية) " يارب يسوع المسيح ارحمني "، " يارب يسوع المسيح أعني "، " يارب يسوع المسيح خلصني "، " أنا أسبحك يارب يسوع المسيح ".

أذكر أنني في سنة 1966م كنت مسافراً من القاهرة إلى الإسكندرية فدبَّرت نعمة اللَّه أن يكون مقعدي في

القطار بجوار راهب بسيط في مظهره لا يرفع عينه في جلوسه. سلَّمت عليه وجلست وأحسست ببركة. لم يتكلم معي ولا نظر إليَّ ولا انشغل بوجودي جانبه. فلما مضى من الوقت ساعة أو يزيد وأنا ألاحظ الرجل، كانت شفتيه من حين إلى حين تتحركان بالكاد ألاحظ حركتهما. فتجرأت وسألته ... قل لي يا أبي كلمة منفعة ... فدسّ يديه في جيبه وأخرج لي ورقة صغيرة مكتوب فيها بخط بسيط:

" يارب يسوع المسيح ارحمني ".

" يارب يسوع المسيح أعني ".

" يارب يسوع المسيح خلصني ".

" أنا أسبحك يارب يسوع المسيح ".

أذكرني في صلاتك - القمص أنجيلوس السرياني.

وقال لي: ردد هذه الصلاة وعلى قدر ما ترددها ترداد تعزية، ثم استدار إلى جلسته الأولى حتى وصلنا إلى الإسكندرية فسلَّمت عليه وذهب كل واحد إلى حال سبيله.

وقد علمت فيما بعد أن البابا كيرلس نيح اللَّه نفسه كان قد انتدبه ليصلي بعض الوقت في كنيسة الشهيد

مارجرجس بمحرم بك في بداية تأسيسها، وكانت الكنيسة وقتها تتبع دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط. وكان عمل أبونا أنجيلوس في هدوء عجيب يكتب هذه الوريقات وفيها الصلاة الدائمة ويوزعها على كل أحد لا سيما الشباب وقد أفاد الكثيرين منهم. وتشجعوا وتقدموا في حياتهم الروحية.

وعندما رُسمت كاهناً في دير الشهيد مارمينا وجدت هناك أبونا أنجيلوس في بساطته ووداعته وحبه العجيب الذي بلا تكلُّف، كم فرح برؤيتي وقدَّم لي محبة واتضاع ونصائح غالية.

وقضينا معاً أياماً في الدير. لم أره في يوم من الأيام إلاَّ مشغولاً بالصلاة وقد سكبت عليه الصلاة مسحة من القداسة والتواضع وبساطة القلب. وقد صار فيما بعد أب اعتراف للراهبات إلى أن تنيح بسلام.

✥ وقد ذكرني بالسائح الروسي عم يوسف، رجل عاش بيننا ورقد في الرب سنة 1969م، وهو رجل فقير عاش بتولاً ساكناً في حجرة بسيطة. وكان يقضي معظم وقته في الكنيسة. وكانت له أخت متزوجة تعوله وكان

يأتي إلى كنيستنا في سبورتنج يقضي ساعات طويلة في ركن من الكنيسة. ولما تقدم في الأيام كان وهو محنـــي الظهر ويمشي ببطء شديد يحضر كل يوم من الصـــباح الباكر وهو ممسك بإنجيله وبعض الكتيبات مربوطة في ربطة واحدة ويجلس في ركن في الكنيسة يصلي ويسبح ويقرأ. ساعات طويلة بلا حديث مع النـــاس ولا خلطـــة بأحد. لم يكن له أصدقاء ولا عائلة ولا مشغوليات. بـــل كان مكرساً للصلاة، وإذا صادفته ماشياً في الشارع فهو في حال الصلاة القلبية التي لا تتوقف. وقد كان منظـــره كسواح البراري. وكانت صفحة وجهه مشرقة بالنعمـــة. وكان كثير من الذين يأتون إلى الكنيسة يرون فيه العابد الصامت، كانوا يطلبون إليه قائلين ... صلي عنـــي يـــا عم يوسف، فكان يبتسم ويقول .. أنا دا أنـــا المحتـــاج. ورقد في الرب دون مرض أو مقـــدمات وهـــو واقـــف يصلي ويبارك اللَّه.

❖ وممن رأيتهم يمارسون نعمـــة الصـــلاة الدائمـــة صاحب الذكر الحسن المتنيح الأنبا بموا. وقد ربطتنـــي به صلة محبة قوية منذ أن تقابلنا بدير الأنبـــا بيشـــوى

سنة 1967م حين كان طالب رهبنة. وقد توطدت العلاقة بيننا بالأكثر عندما قضينا بضعة شهور معاً في السجن سنة 1981م. وقتها عاشرته عن قرب فرأيت فيه أيقونة جميلة لحياة الصلاة حيث لم يكن يتكلم كثيراً مع الناس، بل كان دائم الصلاة بمواظبة، لا سيما صلاة القلب. وكان يقول لي إن مثلي الأعلى هو المتنيح البابا كيرلس مع أنه لم يقابله بالجسد، بل كان روح رجل الصلاة هو الحافز لحياته وجهاده.

وكان أحياناً يجلس منفرداً يردد أجزاء من القداس الإلهي ويقول لي إن كلمات القداس هيَ أعمق صلاة ممكن أن تقولها في كل وقت ما عدا أجزاء التقديس. وكان في أيام السجن الخمسة والأربعين يوماً الأولى يسكن في زنزانة مع الأنبا أمونيوس أسقف الأقصر. وكان الرجل شبه صامت فلم يكونا يتكلمان معاً لأيام. وقال لي الأنبا بموا ... إن هذا ساعدني بالأكثر على التمتع بالصلاة وكأني منفرد في البرية.

وكانت حياة الصلاة ترتسم على صفحة وجه الأنبا بموا وتملأه بشاشة وسلام فلم يتكدر وجهه مدة الشهور التي قضاها في السجن بالرغم مما كان يدور حولنا

وبغض النظر عن الضغطات التي كانت تعتصر كل نفس.

هكذا كانت الصلاة حصنه وملجأه في الضيق وقد شهد بذلك المؤمنون المسجونون معه وغير المؤمنين على حد سواء. وعندما بدأت أزمة السجن في الانفراج، بدأت أسأل معظم الآباء الكهنة والإخوة العلمانيين ... من هو أكثر شخص تأثرت به في هذه المدة؟ وكانت الإجابة من جميع مَن سألتهم ... الأنبا بموا! ولم يكن الرجل يعظ أو يتكلم كثيراً ولم تكن له علاقات بكثيرين ولكن سر اللَّه في حياة الأبرار لا يخفى على أحد، بل يدركه كل مَن يراه ويتعامل معه.

عندما يُقنع اللّه قلب الإنسان بحضوره وسنده وقــوة ذراعه، يستحيل على قوى الشر والتشكيك وعدم الإيمان أن تتطرق إلى قلب الإنسان وإلى فكره على الإطــلاق، إذ يكون برهان الإيمان قد استولى على القلــب وتربــع على عرشه كبرهان قيامة السيد المسيح الذي أنعــم بــه على الرسل الأطهار حين جسوه ولمسوه لمــس اليــد،

ووضعوا أيديهم في أثر المسامير ومكان الحربة النافذة، فصرخوا بنداء الإيمان الذي يقطع الشك بقوة اليقين.

منذ عدة أيام كنت أجلس مع أحد أحبائي وكنا نتكلم عن برهان الإيمان هذا في حياة كل أحد من أولاد اللَّه، وأنه عندما يصير هذا الإيمان واضحاً بطرق إعجازية وهى طرق إظهار اللَّه ذاته لمحبيه ليسند إيمانهم فأن النفس تكون بالفعل قد ألقت رجاءها على اللَّه بلا تردد مدى الحياة، وتكون قد أمسكت بالمرسى المؤتمن الثابت الذي تعجز معه أمواج بحر هذا العالم الزائل من أن تحركه أو تضربه.

وقد ساقنا الحديث من جهة هذه الخبرة الإيمانية إلى كثير من القصص الواقعية في حياة أولاد اللَّه. ثم قال صديقي ... ولماذا نذهب بعيداً؟ دعني أحدثك عن ما جرى لي في حياتي الخاصة. لقد كنت في شبابي المبكر وأنا طالب أدرس الفلسفة شغوفاً جداً بما أدرسه وأستزيده، وفي غرور الشباب قبلت كل أفكار الفلاسفة الملحدين والوجوديين والذين ينكرون الإيمان بلا فحص. مكثت أنظر إلى الدين كنظرة الفلاسفة الملحدين، وصرت في قناعة أن الدين هو التخلف وأن المتدينين

فعلاً أناس مضللين يعيشون في وهم وخيال. ومن جرأتي صرت أنادي برأيي وحاولت بكل قوتي أن أؤثر على أقراني وزملائي وأنشر أفكاري بينهم. ومضت بي سنوات الدراسة بالجامعة وأنا أزداد في اتجاهي. وعبثاً ضاعت المحاولات من الذين أرادوا أن يبعدوني عن أفكاري، فقد كنت استهزئ بكل أفكار المتدينين.

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان. فقد كان مقرراً لدفعتي في الكلية أن نذهب في رحلة بالأتوبيس من القاهرة إلى الإسكندرية إلى مرسى مطروح إلى سيدي براني ثم الواحات الخارجة. الطلبة مع الأساتذة كرحلة ميدانية دراسية. وبالفعل ذهبنا وكنا في غاية السرور، كل الأشياء على ما يرام إلا أننا في طريقنا من سيدي براني إلى الواحات وهو طريق غير ممهد نسير فيه على آثار العربات حدث أننا ضللنا الطريق، وبالتالي ضللنا الطريق إلى امتدادات المياه لأن الطريق به ثلاثة آبار ماء. وكان إذ فرغ منا الماء ومضت الساعات ولم يكن الأتوبيس مجهزاً لمثل هذه الرحلة فقد حدث ثقب في الراديتير فصار يحتاج إلى ماء يُصب فيه وإلاَّ يحترق الموتور! فصار السائق يصرخ ويقول احتفظوا

بكل قطرة ماء للسيارة، لا أحد يشرب. وكنا على وشك فقد الأمل في الحياة، فالسيارة ستتوقف، ولا أمل في النجاة إن ظللنا تائهين.

قال صديقي ... هنا وجدت نفسي ولأول مرة منذ سنين أدخل إلى أعماق نفسي وأشعر أنني أحتاج إلى الصلاة والصراخ إلى اللَّه.

قال صديقي ... لم أعرف كيف أصلي أو بماذا أصلي! ولكنني وجدت نفسي أقول للرب يسوع له المجد وببساطة شديدة ... الآن هو وقتك وهذه ساعتك التي أتحقق فعلاً من وجودك بل حبك لي وحفظك إياي رغم جهالاتي وضعفي. فالآن أرجوك أعمل مع عبدك آية تصير حجر زاوية في حياتي ومبدأ حياة إيمان بك لا يهتز ولا يتزعزع، بل اعمل إحساناً حسب وعدك مع باقي هذه النفوس التي تعرفك والتي لا تعرفك، لأنه كان يوجد معي حوالي 15 طالباً مسيحياً ومعظمهم متدينين يحيون حياة فاضلة.

وللعجب العجاب ... ما كدت أفرغ من هذه الصلاة القلبية التي فيها شعرت بصدق ولأول مرة أنني أتكلم إليه من أعماق نفسي، وشعرت شعوراً أكيداً أنه استمع

صلاتي واستجاب طلبتي، لم أكد أفرغ من هذه الصلاة التي استغرقت بضع دقائق إلا وسائق الأتوبيس يصيح الحمد للَّه وجدنا بئر الماء ونحن الآن على الطريق. صار صياح عظيم من الجميع، لكنني كنت هناك في أعماق نفسي أمارس سجودي القلبي واعترافي بمخلصي وشكري الذي لا يُعبّر عنه.

ثم أكمل قائلاً .. جرى الجميع إلى البئر، كلهم عطاش، ولكن خاب الأمل إذ لا دلو هناك!! ووقفوا حيارى ولكنني تذكرت بئر السامرة وتذكرت الرب يسوع مروي العطاش من ماء الحياة، ولا دلو له والبئر عميقة، فألهمني إلى طريقة طريفة. استعرت من الطلبة كل رباطات العنق والأحزمة وربطتها مع بعضها وعلقت فيها إبريقاً للشاي، وأنزلتها إلى البئر وسحبت الماء وكنت أول من استقى. وكانت قطرات الماء الداخلة إلى جوفي وكأنها انسكاب ينبوع الماء الحي الذي أعطاه الرب للسامرية وكل مَن يؤمن ويحب اسمه القدوس، وقلت في نفسي .. حقاً يا سيدي أنت فجرت فيَّ ينبوع الماء الحي الكائن في أعماقي منذ معموديتي وولادتي من الماء والروح. إن الماء الحي كان فيَّ وهو كائن

وليس الأمر أكثر من نبش الآبار القديمة (تك 26 : 18) من تراب الجهالة والفلسفة الكاذبة.

كان صديقي قد بلغ قمة التأثر وهو يحكي لي تفاصيل هذه الأعجوبة. رغم أنه مضى عليها ما يقرب من 45 عاماً. ولكن هل يخبو نور برهان الإيمان؟! ثم قال ... لقد آزر الرب مسيرة حياتي بمزيد من البراهين صارت كلها كأساسات راسخة عميقة أتحسسها كلما عصفت بي تجارب الحياة وإذ أجدها أقول أنا عارف بمَن آمنت وواثق أن الذي ابتدأ في عملاً صالحاً يقدر أن يكمل.

ثم أردف قائلاً ... بعدما تخرجت عُيّنت في أسوان كمدرس ثانوي للفلسفة رغم تفوقي في تخرجي، وقد سبب هذا الأمر في ذلك الوقت حزناً لعائلتي ولكنني قبلته بشكر وفرح. لا أعرف إنساناً في أسوان ولا مكان. وركبت القطار وكنت خجولاً بطبعي لا أستطيع أن أتناول الطعام في زحام القطار، فظللت بلا أكل حتى إلى ما بعد سوهاج، وقتاً طويلاً جداً ثم بعد سوهاج خلت معظم دواوين القطار، فاخترت ديواناً خالياً تماماً من الركاب وجلست وفتحت لفة الطعام التي معي وبعد

دقيقتين قبل أن يتحرك القطار وإذ برجل وسيدة يقتحمان عليَّ الديوان ويجلسان. قال الرجل ... هل ممكن نجلس معك؟ تكدرت جداً ولكنني خجول فقلت أهلاً وسهلاً. ولم أستطع أن أكمل طعامي، عدت ولففت الطعام، وكان لا يصلح أن يبقى لوقت أكثر، فألقيته من الشباك وجلست متكدراً.

ثم في المحطة التالية، أدرك الرجل الموقف وأراد أن يشتري بعض الغذاء من الباعة على المحطة، فلما حاولت أن أدفع شيئاً، أصر أن يدفع هو كل الثمن، ثم اقترب إليَّ وأنا إلى جواره في الشباك وقال ... لعلك تضايقت أن جئنا وجلسنا معك. قلت ... بالحقيقة نعم. قال ... هذه السيدة ليست زوجتي، ولكنها أرملة زميلي التاجر وأنا استصحبها للتجار لكي أحصل لها مبالغ كانت لزوجها عندهم، ولكي أحافظ للسيدة على سمعتها الطيبة ونحن في الصعيد آثرت أن لا نجلس كلينا بمفردنا في القطار لئلا يرانا أحد ويتكلم بما لا يليق. ثم سألني الرجل إلى أين أنت ذاهب؟ قلت ... أسوان. قال ... لماذا؟ قلت ... عُيِّنت مدرساً للثانوي هناك. أخرج الرجل كارت من جيبه وقال ... لي صديق

حميم اسمه الأستاذ فلان أرجو إن تقابلت معه سلم لي عليه كثيراً. أخذت الكارت وقلت في نفسي مَن هو هذا؟ وما فائدة أن أسلم عليه إذا وجدته؟ ولكني وضعت الكارت في جيبي.

وصلت أسوان وذهبت إلى مدير المنطقة التعليمية، فوجئت أنه قد تم تعييني مدرساً في معهد بالنوبة!! وعليَّ أن أركب مركباً لأصل إلى هناك لأنها الوسيلة الوحيدة. رفضت وتأزم الموقف بيني وبين المدير. خرجت من عنده عازماً على الرجوع إلى بلدي القنطرة. وقلت في نفسي هذا أكثر مما أحتمل. جلست في مقهى حتى أتدبر أمري وأنتظر حتى موعد القطار، ورفعت قلبي بالصلاة، فأنا غريب والأمور متأزمة. وبلا سبب صليت، ذات الصلاة القصيرة النابعة من القلب، ولكن في هذه المرة مسنود بالبرهان الأول، فحياتي مختلفة وصلاتي مختلفة.

تسمرت وأنا أنظر إلى أحد المارة يقف أمامي، أنه قريب أبي، لم أراه منذ أكثر من 15 سنة، ولكنه عرفني وسلّم عليَّ بالأحضان وسألني عما جاء بي إلى أسوان، قصصت له كل شيء. طمأنني وقال أنا أعرف أن

للمدير صديق وهو شيخ المعهد الديني ونحن نستطيع أن نكلمه ليتوسط لنا عنده. هون على نفسك ولكني أريد أن أذهب أولاً إلى بنك التسليف فلي هناك مصلحة أقضيها. ذهبنا معاً، طلب وكيل البنك. فقيل له أنه في مشوار وسيعود. جلسنا ننتظر. مللت الانتظار، قمت لأتمشى في المكتب، وجدت على مكتب الوكيل قطعة من الخشب مكتوباً عليها " لا تخف لأني معك ". فرحت حين وقعت عيني عليها. أحسست أن الكلمات تصرخ نحوي من صوت الأزلي العارف قلب كل واحد. أخذت الخشبة أقبلها في يدي، وجدت على الجانب الآخر منها اسم الرجل، قلت في نفسي لقد سمعت هذا الاسم من قبل، وهنا فطنت إلى أن هذا الاسم هو اسم الرجل الذي في الكارت الذي في جيبي وهو صديق الرجل الذي قابلني في القطار. أخرجت الكارت، حقاً هو هو!

هنا دخل الرجل إلى مكتبه وكان صاحب مودة مع قريبي، عرفني عليه، وأعطيته أيضاً الكارت ففرح به جداً، وقال كيف أخدمك؟ فحكى له قريبي ما كان. فقال ... أمكث معي يا ابني قدر ساعة، وبعد ذلك اصطحبني في سيارته إلى مديرية التعليم، ودخل إلى

المدير، فوجدت المدير يحتفي به جداً. فقال له ... ألا تعلم أن فلان قريبي. فقال المدير بقسم لا أعلم وهو لم يخبرني، فقال له ... الآن أنت تعلم. فقال المدير أنت تأمر وأنا أنفذ. فقال ... يعين في المدرسة الثانوية بنات لكي يعتني بابنتي فقال المدير ... لقد صار كما قلت. قال صديقي ... أيقنت من يومها أن حياتي البسيطة تسير بحسب تدبير إلهي متقن وعجيب ولا مكان للصدفة أو الظروف. فهل أقابل هذا الرجل في القطار عن طريق الصدفة؟ وهل يعطيني كارت وكيل البنك هذا عن طريق الصدفة؟ وهل تسوقني الصدفة إلى مكتب الرجل وهو المكان الوحيد الذي دخلته في المدينة كلها؟ وهل صدفة أنه صديق حميم لمدير التعليم؟

هل تجتمع كل هذه الصدف لتخدم ذات الغرض الواحد؟ هذا مستحيل، ولكنه تدبير إلهي محكم، فاللَّه المهتم بي يجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون اللَّه.

ومن وقتها تحققت قول الرب: " حتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة ".

✣ ✣ ✣

مَن أراد أن يأخذ ثوبك فأترك له الرداء

كان والدي نيح اللَّه نفسه في بداية العشرينيات من القرن الماضي يسكن في القرية التي وُلِدَ فيها في صعيد مصر. وكانت التقوى والحياة المسيحية هيَ الصفة العمومية لجيله رغم قلة المعرفة والعلم. إذ كان معظم سكان القرية أُميين لا يعرفون القراءة والكتابة، ولكنهم عاشوا في خوف اللَّه وحفظ وصاياه، وحفظوا المحبة وأكملوا حياة القداسة فلم يكن يُسمى

بينهم شيء من أعمال النجاسة ولا عرفت البغضة لها مكاناً بينهم.

حكى لي والدي أن أحد أحبائه في ذلك الوقت، كان مزارعاً موسراً يملك بضع أفدنة وله مكانته بين سكان القرية، وهو رجل تقي يخاف اللّه ويحيا حياة فاضلة، كان لسانه العف يتكلم دائماً بكلام الحكمة والمحبة لجميع الناس مسيحيين أو مسلمين. كانوا إذا جلسوا يتسامرون بحسب عاداتهم وجلس المقدس فلان في وسطهم، كانوا يوقرون الرجل ويحترمون مجلسه فكان كنور وملح للجماعة. وكان الجميع يأنسون إليه ويستمتعون بحلو حديثه وعذب محبته.

حدث مرة مع غروب الشمس أن كان الرجل ذاهباً إلى حقله وكان موسم حصاد القمح، فلما اقترب من الحقل فإذا بشاب غير مسيحي من شباب القرية كان قد حزم حزمة كبيرة من القمح من حقل المقدس وكان يهم بسرقتها، فلما فوجئ الشاب بالرجل قادماً ولم يتمكن من الهرب بل وجد نفسه وجهاً لوجه أمام مالك الحقل الذي يسرقه. أطرق الشاب رأسه وامتلأ خجلاً عندما حياه الرجل بمحبته المعهودة وقال له: كيف حالك

يا ابني؟!

فقال الشاب: سامحني يا عم فلان. فقال الرجل: أنت عزمت أن تأخذ هذه الحزمة. دعني أساعدك في حملها. فقال الشاب: لا، سامحني يا عم فلان. فقال الرجل: لابد أن تأخذها مادمت محتاجاً إليها. وألح عليه بقوة وحمَّله الحزمة التي كان سيسرقها.

دارت الأيام ومرت الأسابيع ولم يعلم إنسان بما جرى. وكان إذا أقبل المقدس إلى جماعة من الرجال يجلسون ومال ليجلس معهم ويكون ذلك الشاب في وسطهم، فإنه لتوه يقوم مسرعاً ويغادر المكان. وقد تكرر هذا الأمر مرات ومرات. لم يكن الشاب يطيق التواجد في حضور المقدس. وفي إحدى المرات دخل المقدس إلى أحد بيوت أحبائه، وكانوا جالسين يتسامرون، وكان الشاب في وسطهم. فلما جلس المقدس ظل الشاب جالساً إلى دقائق ثم انفجر في صراخ ومزق ثيابه ولطم وجهه. وقال: يا مقدس ها تموتني أنت قتلتني!! لماذا صنعت بي هكذا. وكان الكل يتعجبون من هذا الكلام، فقالوا ماذا حدث؟ فقال الشاب: تصوروا يضبطني أسرق حقله ولا يكلمني كلمة واحدة بل أصر

أن آخذ ما كنت ربطه لأسرقه، أنا مش عارف أنام ولم يهدأ لي بال من يومها ... أنا معذب! فقام المقدس واحتضنه وقال: يا ولدي لا تقل مثل هذا الكلام، أنت مثل ابني ودي كلها أمور بسيطة. والحقل حقلك وكل ما فيه لك ونحن مثل أسرة واحدة وإخوة.

فقام الجميع يقبلون المقدس ويشهدون أنه فعلاً إنسان اللَّه وكان غالبية الجالسين من الإخوة المسلمين. وقد ذكَّرتني هذه الواقعة بمسلك القديس مقاريوس الكبير تجاه الذين جاءوا يسرقون قلايته. فلما دخلها وجد فيها أشياء تركوها فحملها وذهب وراءهم قائلاً: خذوا هذه أيضاً فقد نسيتموها!!

فقد تحرر مما يسمونه حب القنية أو حب الامتلاك كان يمتلك المسيح ومعه لا يريد شيئاً على الأرض، أو القديس جلاسيوس الذي سرق أحدهم كتابه المقدس وكان ثميناً جداً. فلما ذهب السارق ليبيعه في القرية واتفق معه الشاري على الثمن قال له: غداً أعطيك الثمن، ثم ذهب الشاري بالكتاب إلى الأب جلاسيوس ليأخذ رأيه في الثمن لأنه كان يعرف أن الأب جلاسيوس ماهر في

النساخة وله معرفة وخبرة في هذا الأمـــر. فلمـــا رأى الأب الإنجيل، أدرك أنه إنجيله المسروق، ولكنه لم يتكلم قط وسأل الشاري: بكم يريد البائع أن يبيعه لـــك. قـــال: بكذا. فقال له: أنه سعر جيد فاشتره. فلما عاد اللص إلى الشاري قال له إنني استشرت الأب جلاسيوس. فقال إن الثمن كثير. فقال البائع: ألم يقل لك شيئاً آخر. قـــال: لا. فقال اللص: أنا لا أريد أن أبيعه. فقـــال الشـــاري: أنـــا أعطيك الثمن الذي اتفقنا عليه بـــالأمس. قـــال الرجـــل: لا، أنا لا أريد أن أبيع. ولوقته أخذ الإنجيل ورجـــع بـــه إلى القديس جلاسيوس وبكى أمامه بكاءً حـــاراً. وكـــان القديس يرفض أن يسترد كتابه المسروق. بل يقول لـــه: طالما أنت محتاج إليه خذه. ولما ألح الرجل فـــي بكائـــه وتوسله، قبل الأب جلاسيوس أن يستعيد كتابـــه. وأمـــا الرجل فقد ترك العالم وكل ما فيه وأكمـــل أيـــام توبتـــه مترهباً ومتتلمذاً على الأب جلاسيوس.

يا لنعمة المسيح العجيبة ... ويا لقوة وصيته المقدسة القادرة أن تحول حتى أعتى الخطـــاة، وتُغيِّـــر القلـــب الحجري.

✣ ✣ ✣

افرحـوا بالـرب كل حـين

من العلامات المميزة للحياة في المسيح دوام الفـرح الذي يسببه حضور المسيح والشعور الحقيقي به في كل مكان وفي كل زمان. أليس هو عمانوئيل الذي تفسـيره اللَّه معنا. أليس هو الحاضر في كل مكـان وفـي كـل زمان ومالئ الكل وفيه يقوم الكل. ألم يقل " ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ". لـذلك صـار الفـرح الروحي الدائم علامة علـى صـحة الحيـاة الروحيـة والاتحاد باللَّه. ولكن كيف يتوافق الفرح الروحـي مـع حياة التوبة والدموع والتنهد والحزن؟ إن الحزن الـذي بحسب مشيئة اللَّه ينشئ فرحاً حقيقياً.

فإن كانت حياة الآباء القديسين حسبت حيـــاة توبـــة دائمة، فقد صارت أيضاً حياة الفرح بـــالخلاص والـــنعم التي لا يُعبّر عنها والتمتع بكل مواهب الـــروح. بهـــذا الفرح مارســـوا أعمـــال التوبـــة والصـــلوات والســـهر والأصوام وكل أعمال الإماتـــة. وبهـــذا الفـــرح غلبـــوا الاضطهاد والشتائم. وبهذا الفرح غلـــب الشـــهداء آلام التعذيب حتى الموت. وبهذا الفرح سكن الآباء البـــراري وجعلوا شقوق الأرض لها بهجة السموات عينها. وقـــد تميزت حياة الأبرار في كل جيل بهـــذه النعمـــة، وقـــد أضفت على وجوههم نوعـــاً مـــن البشاشـــة فصـــارت وجوههم مضيئة بلمسة خاصة ونعمة لا يخطئها النـــاظر إليهم، فتجد في مجرد النظر إلى وجوههم البهية راحـــة وسلام يفوق العقل. وقد كان الناظر في وجـــه القـــديس أنطونيوس يرى نعمة اللّه. وكثير من الآبـــاء القديســـين كانوا يسمونهم ألابسي الروح ... فالروح الغير المرئي صار مرئياً في قسمات وجوههم. فقد نضح الروح على الجسد مسحة السلام والفرح الذي لا يعرفه العالم.

وقد تعودت أن أزور أحد أحبائي وكان يســـكن فـــي

منطقة غربال، وكان معظم سكان المنطقة من بلاد الصعيد ومعظمهم من الأسر الفقيرة ... وكانت تربطني بهذه الأسرة صلة قرابة بعيدة. كان هذا الرجل فقيراً شبه مُعدم. لم يملك من حطام الدنيا شيئاً، وكانت له زوجة وثلاثة أولاد. توفيت زوجته منذ سنين ثم افتقد الرب أولاده الثلاثة ... أحدهم كان مجنداً بالجيش وقد جاءوا به محمولاً في نعش ولم يعلم عنه شيئاً، والآخر مرض بالسرطان، والثالث فاجأته نوبة قلبية وسقط ميتاً ... كل هذا في أعوام قليلة. وبقى الرجل وحده بعد أن وقعت عليه هذه التجارب الصعبة.

فكنت من حين لآخر أذهب إليه وأقضي معه بعض الوقت. وفي كثير من الأحيان كنت أضغط على أعصابي لأذهب إليه .. ماذا أقول له وبماذا أعزيه؟ ولكني على غير توقع كنت في كل مرة ألقاه، أجد نعمة وسلام عجيب على وجه الرجل ... حتى في المرات التي كان يغلبه التأثر وتجري دموعه على خديه كان وجهه يشرق سلاماً عجيباً. لقد كان دائم الشكر بشكل عجيب. وكنت أسأله إزيك يا عم فلان؟ يقول ... أشكر اللَّه يا أبونا ... خيره كتير عليَّ ...

أنا لو طلته أبوسه!

وقد ذكَّرني هذا الرجل بما جاء في البستان ورواه "القديس يوحنا القصير" أنه في أحد المرات التي نزل فيها من ديره إلى العالم ليقضي بعض الحوائج ... أنه قضى ليلته في منزل لإضافة الغرباء، وكان بين النزلاء فقير مُعدم كانت الخرق التي يرتديها بالكاد تستر جسمه ... وعندما خرج القديس يوحنا القصير في نصف الليل من هذا المنزل إلى الخلاء للتسبيح والصلاة كعادة الرهبان، رأى في الظلام شبح إنسان قائماً للصلاة، فلما اقترب ليستطلع الأمر هاله المنظر إذ وجد هذا الشحاذ غارق في الشكر والتسبيح وهو يعدد أمام اللَّه النعم التي ينعم بها ... مثل نعمة النظر وصحة الجسد ورفع اليدين والوقوف على الرجلين، بينما آلاف البشر محرومين من هذه النعم ولو كانوا أغنياء ... فرجع القديس يوحنا إلى ديره يخبر الإخوة كيف أن فقيراً مُعدماً وجد أسباباً للشكر والتسبيح.

على هذا كان الرجل الفقير في كل مرة أزوره يبكتني بكثرة شكره للمسيح رغم كل التجارب المرة التي نالته. ولكنه كان يقول: تجاربه صالحة يا أبوي. ويقول

أيضاً: اللَّه غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً. ولكن الثابت في حياة هذا الإنسان الفقير التقي أنه كان ينظر إلى ما فوق، وكان كثير التفكير في السماويات ومجد السماويات ... وكان يقول مستفسراً: يا ترى هم في السماء مع القديسين فرحانين قد إيه؟ ومين علَّمهم التسبيح بتاع الملائكة؟ وكان ملجأه الوحيد هو الصلاة، فكان رغم علمه البسيط إلاَّ أن المزامير كان يحفظها عن ظهر قلب ... معظم مزامير الأجبية ... فكان لا يكف عن الصلاة.

أما من جهة أحبائه فكان مثلاً عملياً لإيمان حي، فهو لا يكف عن ذكرهم في الصلاة، وبذلك يتعزى ويقول: " أنا متأكد أنني مسنود بصلاتهم فهم يذكرونني كما أنا أذكرهم ... بل هم الآن أفضل مني ". ومن العجيب أن الرب يسمح له من حين إلى حين آخر برؤى معزية ...

كان يضع صور أحبائه جنباً إلى جنب مع صور القديسين الذين ارتبط بهم ارتباطاً وثيقاً بدالة وحب. وكان يقول لي: " دي السماء بتاعتي كل ما أبص ناحيتهم أحس أنهم سندي في الحياة ... أنا ذاهب إليهم ".

وقد رأيت هذا المسلك في المتنيح الأستاذ فيليب عطاللـه شقيق الدكتور التقي فهمي عطاللـه أول مَن هاجر إلى أمريكا في بداية الخمسينيات من القرن الماضي.

وقد عاش عم فيليب بتولاً مدى حياته، وكان شماساً متواضعاً. وكنت أزوره في حجرته في عمارة يملكها أخوه في لوس أنجلوس حيث سكن أبونا بيشوى كامل في أيام خدمته الأولى في لوس أنجلوس. وكنت لا أرى من حيطان حجرة عم فيليب سنتمتراً واحداً حيث كساها بصور القديسين بشكل فريد، وكان يقول: " دي عائلتي ... كل واحد في بيته زوجة وطفل أو اثنين وأنا عائلتي كبيرة قوي ... أقوم من النوم أصبح عليهم جميعاً ... وأقضي طول النهار في عشرتهم ... وأتمتع بوجودي في وسطهم. هؤلاء ليسوا صوراً على الحائط بل هم أشخاص حية ممجدة، أنا أرى مجدهم وأمجدهم على قدر استطاعتي ".

هكذا ظل هذا البار يحيا في ظل سحابة الشهود المحيطة به حتى انضم إليهم بفرح وعزاء الروح القدس.

✣ ✣ ✣

مما يُروى عن القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم أنـــه جاء إليه واحد من أفراد شعبه، وكان رجـــلاً متزوجـــاً، ولظروف عمله سافر لمدة عام أو يزيد ثم رجع إلى بيته فوجد امرأته حاملاً بطفل. جن جنون الرجل ولـــم يجـــد أمامه باباً يطرقه سوى القديس الأنبا أبرام.

اصطحب الرجل زوجته وجاء باكياً قدام أنبا أبـــرام، ولما سأله القديس ماذا بك يا ابني؟ أجـــاب الرجـــل ... كنت مسافراً بعيداً وعندما عدت وجدت امرأتي حـــاملاً، فأجاب القديس في بساطة الأطفال ونقاء الذهن الطـــاهر، وما هيَ المشكلة يا ابني؟ هيَ حامل ستلد لك ابناً يكـــون لك عوناً ويقر اللَّه به عينيك. فحـــاول الرجـــل شـــرح الأمر مرة ومرتين وهو لا يريد أن يفسر الأمر بكلمـــة فاضحة أو نابية، ولما ضاق الأمر بالرجل قال صراحة للقديس ... يا أبي هذا حمل من الحرام.

هنا أصاب القديس نوعاً من الحزن لـــم يســـتطع أن

يخفيه ولعن الأيام التي صار فيها هـذا الكـلام وتلـك الأفعال. وقال للرجل ... اذهب إن كان من اللَّـه يثبـت وإن لم يكن من اللَّه لا يثبت. وتقول الرواية أن الزوجة أسقطت جنينها وهى لم تتجاوز باب المطرانية.

هكذا عاش الآباء بنقاء وطهارة ذهن عجيبة ولو أنهم كانوا في حكمة الروح القدس وكمـال العقـل والإدراك الروحي، ولكن في الذهن عاشوا بسطاء بساطة أبونا آدم قبل أن يداهمه موت الخطية. وهم بهذه الحيـاة برهنـوا أنهم صاروا بالحقيقة خليقة جديـدة مولـودة مـن اللَّـه مخلوقة على مثاله في البر وقداسة الحق. وكان ولم يزل كثير من الذين يحيون بالروح يتمتعون بهذه النعمة نقـاء القلب من كل قذر الخطايا ولا يوجد في قاموس ذهـنهم كلمة بطالة أو فكر خبيث.

ولو أننا حينما نفكر في هذا ونرى الأجيال الجديـدة وكيف أن طغيان العالم وفكره النجس قد غزا العالم كلـه بكل ما هو قبيح من أقوال وأفعال، وقد وضع الشـيطان إصبعه في وسائل الإعلام لينشر وبسرعة عجيبة - إلـى كل بيت وإلى كل نفس - كل مـا هـو ضـد القداسـة والبساطة ونقاوة القلب حتى أصبح الأطفـال الصـغار

في سنهم المبكر سبع أو ثماني سنوات فاقدي البساطة وقد انفتحت عيونهم على الشر والأشرار والأفعال الذميمة منذ نعومة أظافرهم. وللأسف نقول لقد فقد الأطفال بساطة الأطفال، وسذاجة الأطفال، ونقاء براءة الطفولة.

وقد عايشت كثيرين وبلا عدد من عينات احتفظت بنقاء القلب وبساطته رغم أنهم بلغوا مبلغاً من السنين وعاشوا في العالم ولكنهم لم يكونوا حقاً من هذا العالم، بل قد حفظهم المسيح من الشرير كوعده الصادق.

❖ عرفت سيدة في المسيح وهى أم لأولاد كثيرين، قد ربت الأولاد في خوف اللَّه، وعاشت عشرات السنين وهى زوجة وأم. ولكن نقاوة قلبها لم يخدشها العالم ورغم أنها كانت سيدة حكيمة مدبرة بيتها وتنقلت بين بلاد كثيرة وجاورت وعاشرت عينات كثيرة من الناس، لكنها لم تكن تعرف لوع الكلام أو تأويله أو اللف والدوران أو الكذب. وعلى غير المألوف لم يكن أحد من جيران أو أقارب يستطيع أن ينطق كلمة نابية أمامها. فصار عقلها نقياً طاهراً.

❖ ومن أمثلة بساطة الطفولة ونقائها ما رأيناه في المتنيح الأنبا مكسيموس مطران القليوبية، فقد حباه اللَّه بهذا القلب الطفولي البريء، وظل محتفظاً به رغم أنه صار شيخاً متقدماً في الأيام وعالماً. هكذا يكون القلب النقي لا يحتفظ بذكريات الشرور ولا الإساءات. ولكن يكون مثل سيده كثير الصفح كثير النسيان.

" طهرنا من تذكار الشر الملبس الموت " هكذا نطلب في صلوات القداس. النسيان نعمة. وعدم تذكر ما على الآخرين بركة. لتكن سيرة الإخوة حلوة في فمك.

❖ أهل السماح ماتوا ملاح .. لما بغى على أبى مقار ظلماً، وأُهين بما لم يقترفه، هل حقد على ظالميه؟ أو لما اكتشف ظالموه الحق وجاءوا إليه للاعتذار عن أفعالهم الرديئة. ألم يترك المكان هارباً. لقد قبل أن يُهان، ولم يحتمل أن يكرَّم!!

❖ المقدس إبراهيم جرجس رجل بار عاش في نقاوة القلب وحفظ المحبة. كانت المحبة بنسبة له رأس ماله.

كان له إخوة كثيرون، وكانت مصالحهم في أعمالهم الكثيرة تتشابك. وفي مثل هذه الأحوال ومع المعاملات المالية، كثيراً ما تفسد المحبة بين الإخوة. ولكن الرجل - في حكمة روحية وبساطة قلب - كان يوصي أولاده وبالأكثر ابنه الأكبر أن يحفظ المحبة.

وعند قُرب رحيله من العالم، استدعى الابن الأكبر وأوصاه قائلاً: أكبر كنز يمكن أن تقتنيه هو المحبة، عمك فلان ممكن أن يطمع في أمور مادية. اخسر الماديات، ولا تخسر المحبة. إخوتك مسئولين منك ... وطدّ أواصر المحبة، وإياك وكسر المحبة.

قال الرسول بولس: " **المعطي بسخاء** "،

وقال أيضاً: " **أوص الأغنياء في الدهر الحاضر أن ... يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كُرماء في التوزيع** ".

فيض الحياة المسيحية ينبع من القلب. من خلقتنا الجديدة المخلوقة بالروح القدس على شكل وصورة المسيح له المجد، وهى منه تستمد وجودها واستمرارها، وبالروح تخرج ثمارها. ومن أشهى ثمار الإنسان الروحي: العطاء بسخاء والكرم في التوزيع. وقد سجل تاريخ الكنيسة الحديث سيرة القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم الذي نما صيته في هذه الفضيلة فوق كل عُرف الناس وكل مقاييس العقل. فقد ظل يعطي كل ما كان عنده بلا فحص ولا تمييز بين ما يأخذ وما يعطيه بحسب الطاقة، بل فوق الطاقة!! واشتهر في جيله الذي رآه بل وفي الأجيال التي لم تره. وهذا شأن الحق الذي

لا يحصره الزمن.

وكان كلما أعطى الأنبا أبرام أن الرب يدرّ عليه نهراً من العطايا حتى أن مصلحة البريد في اليوم خصصت مكتباً خاصاً للبريد الوارد يومياً للقديس الأنبا أبرام بما فيه من عطايا وحوالات بريدية، ومن جهة أخرى خطابات تحمل أوجاع الناس، وطلبات احتياج يرسلها أصحابها للرجل السخي الذي يفرح بالعطاء أكثر من الأخذ.

على أننا في هذا المجال لمسنا أن للرب شهوداً لعمل نعمة وكثرة إحسان في كل عينات المؤمنين. فالعطاء ليس مقصوراً على فئة دون أخرى، وليس العطاء وقفاً على الأغنياء والقادرين، بل هناك مَن يعطي من الاحتياج ومن يُعطي من الإعواز، ومَن يفيض فقرهم إلى سخاء. وهذا هو العجب!!

أعرف إنسان في المسيح وهو رجل مقتدر، قد أسبغ الرب عليه غنى كثيراً، وقد اختبر هذه النعمة، نعمة العطاء، ولكن كان يعوقه أن الناس تعرف أن عنده، وأنه يعطي ويعطي كثيراً. فظن في نفسه أن الناس بهذه

الطريقة تعطيه أجراً وأن العمل في الخفاء صار صعباً بالنسبة له. ففي إحدى المرات كانت الكنيسة التي يصلي فيها تحتاج إلى مبلغ كبير من المال، واجتمعت لجنة الكنيسة – وهو أحد أعضائها – وعُرض الأمر وبدأ كل واحد من الحاضرين يُقدِّم مبلغاً من المال لهذا المشروع. ثم جاء دور الرجل، فقدَّم مبلغاً صغيراً واعتذر عن دفع أكثر من ذلك بسبب ظروف خاصة لم يذكرها لأحد. وكان في نفسه أن الظروف الخاصة هيَ ما ضمره في قلبه أن لا يأخذ مجد الناس ولا يريد مدحاً من أحد. وانفض الاجتماع ومعظم الإخوة مندهشون!

ثم راح يضع خفية في صناديق الكنيسة مبالغ كبيرة وزعها على الصناديق في أيام متتالية بالقدر الكافي لعمل المشروع. وكان الإخوة القائمين على العمل يتعجبون من هذه المبالغ التي يجدونها في صناديق الكنيسة، وكانوا يمجدون اللَّه الذي يعمل في كنيسته.

مثال آخر لحب العطاء:

بعد خروجنا من السجن في أيام السادات، ارتبط بي أحد الأحباء برباط روحي عجيب، جذبته كلمة اللَّه

والمواظبة على القداسات. وصارت كلمة اللَّـــه تســـليته، أحبها بشغف وانفتح وعيه الروحي على الصلاة والتمتع بالشركة الحقيقية مع المسيح. وبالرغم أنه نشأ في أسرة طيبة، إلا أنه لم يكن عميقاً في معرفته وإدراكه للحيـــاة الروحية.

فلما زاد ارتباطه بنا صار شـــغوفاً حريصـــاً علـــى الاستزادة من ينابيع الروح. وكان يركض فـــي طريـــق الحياة الأبدية بلا كسل. كان قد اختبر أن يعطي كثيـــراً كل مَن يسأله، وكان الرب يزيد عليه أضعافاً مضـــاعفة. وكان يقول لي: أنا عارف كيف أتعامل مع اللَّه!! كلمـــا أزيد في العطاء يزيد الرب في العطاء، فأحياناً أعطـــي ليس من أرباحي بل من رأس المال، وأنا واثق من قول المسيح " أعطوا تُعطوا ".

لم يكن يرد سائلاً كقول الرب. وكان يقـــول: هـــل تعرف المثل العامي الذي يطلقه هـــواة تربيـــة الحمـــام " طيِّر حمامك يرجع لك " هـــذا المثـــل صـــادق مائـــة بالمائة.

لقد عرفت فيه كيف يكون الإنسان سخياً، لا يعـــرف حدوداً للعطاء، لذلك كان دائـــم الفـــرح دائـــم التعزيـــة.

أصيب بأمراض غريبة حار فيها الأطباء. كان لا ينام ويتورم جسده من حساسيات عجيبة، فكان يأخذ وسادته ويذهب إلى الكنيسة في نصف الليل. وهناك فقط كان يجد راحة ومعونة، وقد عزاه الرب برؤى وتعزيات ملموسة، ولم يتخلَّ عنه في تجربته.

حقاً طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير في يوم السوء ينجيه الرب. ثم عاش سنوات يزداد في النعمة. ثم افتقده الرب بمرض الفردوس لمدة شهور فتزكى إيمانه وتمحصت حياته. ثم انطلق بسلام ليرى في المظال الأبدية الأصدقاء الكثيرين الذين صنعهم بمال الظلم.

إن ساعة انطلاق النفس من الجسد هيَ أحرج ساعة وأخطر لحظات يواجهها الإنسان في عمره على الأرض. وقد سمعنا عن انطلاق الآباء القديسين واستعدادهم العجيب لهذه اللحظات حيث يجتمعون أيام وجودهم على الأرض، وينطلقون من هذا العالم وعلم النصرة على العالم والجسد والشيطان في أيديهم.

ولا شك أن العدو الشيطان الذي يرصد حركتنا ويجول كأسد زائر مُلتمساً أن يبتلع واحداً. لا شك أنه حتى آخر نسمة من حياتنا يرمي سهامه ويحاول محاولته الأخيرة. ولكن الذين اعتادوا أن يغلبوه بدم المسيح وكلمة شهادته أي الإنجيل الذي خضعوا له وعاشوه، هؤلاء الذين أذلوا فخره وقاوموه فهرب منهم. هؤلاء يخرجون من الجسد وشهادة التصاقهم بالمسيح في أيديهم كسعف النخل ولسانهم ينطق بأول كلمة من الترنيمة الجديدة. ومع أن جسد الإنسان

يخضع لسلطان الموت، وتتداعى كل الأعضاء وتنحل. ولكن الروح اللابسة للمسيح لا تموت ولا يقوى عليها الموت.

وقد رأيت كثيرين من الأبرار في لحظات انطلاقهم من هذا العالم الفاني، أذكر يوم نياحة والد أبينا بيشوى كامل، وكان رجلاً كاملاً بحق وبحسب الجيل الذي عاش فيه كان رجلاً فاضلاً جاداً في حياته لا يعرف الهزل. وكان إذ مرضَ مرض الشيخوخة وحان وقت الانطلاق أن اجتمع إليه في مساء ذلك اليوم أولاده وأحفاده. وكان في سكرات الموت مثل غياب الشمس في تدريجها في لحظات الغروب. وكان في الساعات الأخيرة، أن جلس أبونا بيشوى على فراشه، وأسند رأس أبيه على ركبتيه، وكان يُصلي المزامير، وفي إيمان وثبات كان يكرر اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح، ويقول بصوت حنون " قول يا يسوع يا بابا " ... وكان الرجل كلما عاد إلى وعيه، يقول بصوت خفيض وثقة ... " يا يسوع " وظل هكذا يُجاهد في اللحظات الأخيرة حتى انطلق وكانت آخر كلمة نطق بها لسانه هيَ الاسم الغالي الذي لمخلصنا

الصالح.

ثم قال أبونا بيشوى وهو يستودع روح والده في يدي المسيح " في يديك أستودع روحي ". وقال: " بابا ارتاح في حضن الذي قال ... تعالوا إليَّ وأنا أُريحكم ".

❖ العذراء المُعينة:

نقول في صلوات الغروب " وعند مفارقة نفسي من جسدي احضري عندي، ولمؤامرة الأعداء اهزمي ". ومعروف أن القديسة مريم هيَ الأم الحنون المُعينة الرحيمة والدة الإله فهيَ تُرافق مسيرتنا تحوطنا بحب الأم الذي لا يُعبّر عنه. وعند خروجنا من الجسد تكون بجانبنا تسندنا بحبها وتُشجعنا كأم تريد خلاص أولادها لتقديمهم لابنها وإلههـا كأولاد أمناء حفظوا الإيمان وصانوا العهد ونجحوا في جهادهم وأكملوا سعيهم.

وقصة استشهاد القديس سيدهم بشاي تذكر أن القديسة العذراء لم تفارقه في جهاده حتى النفس الأخير ... حتى قال لمن حوله: " هاتوا كرسي للسيدة لكي تستريح

لأنها تعبت معي كل هذا الوقت ".

ويذكر البستان قصة تُظهر قوة أرواح القديسين وقت انطلاقهم بالرغم من وهن الجسد وموته. يقول البستان أن أحد الآباء الأبرار لمَّا وافته ساعة انطلاقه واجتمع إليه الآباء يأخذون بركة ... أن الشيطان تراءى له مثل كلب وجلس في شباك قلايته ... فلما رآه الأب قال لتلميذه: " أعطني العكاز ... لئلا يفتكر الشيطان إني ضعفت ". فلما ناوله الصليب في يده فرّ الشيطان هارباً. وقد رآه الآباء وتعجبوا.

فإن كان إنساننا الخارج يُبلى ويفسد، ويسلم للموت فإنساننا الداخلي هو إنسان القيامة يتجدد يوماً فيوماً وهو لابس الحياة في المسيح.

❖ سيدة تقية جلست إلى جانب فراشها الأخير، وهى في غيبوبة كاملة، كنا نُصلي المزامير، وفي أحيان أخرى وضعوا جهاز تسجيل يذيع بعض صلوات القداس الإلهي، وكان وجهها يشيع سلاماً عجيباً وصفحة وجهها منبسطة في ارتياح وإشراق لم أرى مثله. ثم اقتربت إليها وقلت مطلع المزمور " أعظمك يارب لأنك

احتضنتني " ويا للعجب والدهشة التي استولت على كل الحاضرين ... فتحت السيدة التقية التي قضت حياتها في التمتع بالمسيح في الصلاة وحفظ الوصايا، فتحت فاها وقالت " ولم تشمت بي أعدائي ". وفعلاً احتضنها وخزى الأعداء المشتكون عليها وانضمت إلى الرب مكللة بالمجد.

❖ جاءني مرة أحد أحبائي وأنا أخدم بكنيسة القديس أبي سيفين والقديس أنبا أبرام في تورانس – كاليفورنيا. يقول إن أحد أقاربه، وهو يسكن في منطقة تبعُد قدر ساعتين بالسيارة من منطقة كنيستنا، راقد في المستشفى وعنده مرض السرطان وحالته متأخرة، ولكنه طلب أن يراني، فقلت ... هل الرجل يعرفني. قال ... لا ... لم يقابلك من قبل ولكن هكذا طلبه. قلت ... أنا أذهب إليه، أخذني هذا الأخ في سيارته وذهبنا إلى المستشفى، كان الرجل وهو في الخمسينيات من عمره راقداً ضعيفاً لكن في كامل وعيه. تهلل حين رآني واعتذر عن تكبدي مشاق المشوار. قلت له لا يا أخي لا تقل هكذا فأنا آخذ بركة عندما أزورك. تكلمنا كلمات قليلة في بعض آيات قرأناها

في الإنجيل وصليت له ودهنته بالزيت وقمت أنصرف.

قال لي المريض ... هل استسمحك في دقائق أتكلم فيها معك وحدنا. قلت له آخذ بركة ... انصرف الجميع وبقينا وحدنا. قال لي هذا الأخ: " أنا أحب ربي يسوع من كل قلبي وأتلهف شوقاً لساعة انطلاقي من الجسد، صحيح أن زوجتي وأولادي في حالة حزن وبكاء وأنا أشفق عليهم وأنا أحبهم، ولكن حبي ليسوع غالب على فكري وشعوري. ومن الطبيعي إن أي إنسان يخاف الموت، ولكن صدقني أنا غير خائف بالمرة ولا يخطر على بالي الخوف. أرجوك صل لزوجتي وأولادي واطلب عني لكي يكمل لي المسيح ساعاتي بسلام ".

وحين كان الرجل يُكلِّمني كانت نعمة اللَّه حالة عليه ووجهه كان كوجه ملاك. كم مجدت نعمة المسيح التي تسند ضعفنا وكم غبطت هذا البار الذي ملك حب يسوع مُخلِّصه على قلبه فوق كل حب. خرجت وأنا في غاية التأثر ... أبكي على نفسي .... وما هيَ إلاَّ ساعات وانطلق هذا البار ليعانق من أحبه إلى المنتهى ويحظى بالحياة الأبدية معه.

✣ ✣ ✣

الـفـهـرس

- مقدمة 5
- خبرة الإيمان تغلب العدو 8
- شاهد أمين 13
- الصداقة في المسيح 43
- ما أجمل الغفران 53
- ذكرى حُفِرَت في الأعماق 60
- صلاة الإيمان 63
- غيرة بيتك أكلتني 69
- سراج لرجلي كلامك 72
- خدمة الصلاة 80
- أمهات يزرعن الإيمان 82
- صلوا بلا انقطاع 92
- برهان الإيمان 99
- من أراد أن يأخذ ثوبك 109
- افرحوا بالرب كل حين 114
- بسطاء كالحمام 120
- أمثلة في العطاء بسخاء 125
- أعترف إلى النفس الأخير 130